خبر مناظرة سيبويه والكسائي المعروفة بالمسألة الزنبورية
دراسة في ضوء نظرية التقييم

أ.م.د. عرفات فيصل المنَّاع
كلية الآداب- جامعة البصرة

تأريخ الطلب: 10/ 4/ 2022 تأريخ القبول: 5/ 6/ 2022

الملخص

إن التمييز بين آراء المؤلفين أو مشاعرهم وأحكامهم وقيمة الأشياء لديهم، والمتمثل بمورد الموقف، وكذلك التمييز بين آراء المشاركين الآخرين الذين أشار إليهم المتكلم/ الكاتب، والمتمثل بمورد المشاركة، فضلًا عن التمييز بين درجة تلك التقييمات والمتمثل بمورد التَّدَرُّج هو الغاية من هذه النظرية التي انبثقت من اللسانيات الوظيفية النظامية (SFL)، والتي نحاول أن نعرِّف القارئ العربي بها على مستويي: المفهوم والإجراء.

يهدف هذا البحث المقتضب –إذن- إلى بيان العلاقات الشخصية والحضور الذاتي داخل بنية الخبر النحوي متمثلًا بالمناظرة بين سيبويه والكسائي التي عرفت بالمسألة الزنبورية، مع بيان موقف ناقل الخبر أو راويه ممَّا يعرضه وتدرُّجه فيه. إنَّه يهدف إلى بيان علاقة الكاتب بالقارئ، وكيف يكوِّن لنفسه ولغيره حضورًا ذاتياً وموقفًا معينًا عبر تشكُّل الخبر.

الكلمات المفتاحية: التقييم، الخبر، الخبر النحوي، المناظرة، المسألة الزنبورية

مدخل:

تنتمي نظرية التقييم إلى اللسانيات الوظيفية النظامية(SFL)، فقد نشأ النموذج التقييمي داخل الإطار العام لهذه اللسانيات[1]، وهو ما صرَّح به مارتن وولايت بقولهما: ((طوَّرنا منهجًا في ضمن الإطار النظري العام للسانيات الوظيفية النظامية في سياق الأوصاف المتطورة الغنية لعلم الأصوات/ علم الخطوط، والتوقيع، والمعجم، ودلالات الخطاب، وأنواع اللغة وأنماطها، والوسائط المتعددة))[2]، فنظرية التقييم –إذن- نتيجة من نتائج العمل الذي قدمه مايكل هاليدي ((Michael Halliday) حول الوظائف الاجتماعية: الفكرية (ideational)، والشخصية (interpersonal)، والنَّصيّة (textual)، وتحديدًا يتجه التقييم نحو تطوير الوظيفة الشخصية التي يقوم المتحدثون/ الكتَّاب عبرها ببناء هوياتهم الشخصية[3]، فالطريقة التي يتفاعل بها المتحدث والجمهور، واللغة التي تستعمل لبناء العلاقات مع الغير، والتأثير في سلوكهم، والتعبير عن وجهة النَّظر حول العالم الخارجي كلُّ هذه أدوارٌ تؤديها الوظيفة الشخصية للخطاب[4]، فاللغة –من وجهة نظر هاليدي- وسيلة تُدخل المتكلم في حدث الكلام عبر التعليق وبيان الموقف وذكر التقييم[5].

وفي أواخر الثمانينيات من القرن الماضي بدأت مجموعة من اللغويين في أستراليا ممَّن تأثرت باللسانيات الوظيفية النظامية تستكشف أنماطًا من السرد، ولاحظت أن ما أطلقوا عليه الحكاية كان له توجه تقييمي مميز في التمثيل لإثارة ردِّ فعل عاطفي مشترك بين الراوي والجمهور، وفي أوائل التسعينيات حول أعضاء آخرون في المجموعة اهتمامهم إلى التباين الملحوظ في أسلوب الخطاب الصحفي وفقًا لما إذا كان المؤلف يؤدي دور المراسل أو المعلق، ولاحظوا أن هذه الأنماط أو الأصوات المختلفة مرتبطة بمجموعات معينة من أنواع مختلفة من التقييم ومتلازمات اختيارات معينة من موارد التقييم والموقف أدت فيما بعد إلى الاهتمام بدور هذه المتلازمات في البناء الخطابي لشخصية المؤلف/ المتكلم، والنمذجة بنصوص القراء/ الجماهير المثالية أو المقصودة[6].

إنَّ القول بانتماء نظرية التقييم إلى اللسانيات الوظيفية النظامية لا يعني أنَّها لم تفد من غيرها، فقد أفادت من عدد من

الدراسات السابقة ولعلَّ في مقدمتها ما كتبه ميخائيل باختين(Mikhail Bakhtin) – وطوره غيره- عن الصوت الأحادي والأصوات المتعددة التي أفادت منها نظرية التقييم كثيرًا ولا سيما في تطوير المشاركة (engagement) بوصفها موردًا من موارد مسرح الأصوات في الخطاب[7]، يذكر باتريك شارودو (Patrick Charaudeau) ودومينيك منغنو (Dominique Maingueneau) في معجمهما لتحليل الخطاب أنَّ مصطلح (evaluation) الذي يترجم بالتقييم أيضًا[8] بدأ مع كتابات باختين، وفالنتين فولوشينوف (Valentin Voloshinov)، إذ ينتمي التقييم ،عندهما، إلى التصور الذي يبنيه المتكلم/ الكاتب لنفسه عن العالم الخارجي[9]، فهو يتطلب موقفًا من المتكلم/ الكاتب في مسألة ما يتبناه ويروِّج له أثناء نقله لمضمون الخبر، بمعنى ألَّا يقف محايدًا ممَّا ينقله لما لهذا الموقف من أثر في المستمعين/ القرَّاء، إذ يُعطي الموقف تجاه أمر ما إحساسًا مشتقًا من الصوت الذاتي للمتكلم/ الكاتب، ويمثل دعوة غير صريحة لتتبع ذلك الموقف[10]، فالمتكلم/ الكاتب لا يريد أن يعلن عن موقفه الخاص وحدَه بقدر ما يريد أن يدعو الآخرين لمشاركة هذا الموقف، فهو يحاول –عبر التصريح برأيه الخاص- أن يؤثر في قناعات الآخرين أو مواقفهم على أقل تقدير[11].

مفهوم التقييم وبعض المفاهيم الرئيسة:

ثمة ثلاثة موارد دلالية رئيسة تفسِّر المعنى الشخصي للخطاب، وهي: التقييم (appraisal)، والتَّدخُّل (involvement)، والتَّفاوض (negotiation)[12]، نحاول في هذا البحث المقتضب أن نسلط الضوء على المورد الدلالي الأول وهو التقييم.

التقييم عند مارتن: ((الموارد الدلالية المستعملة للتفاوض على المشاعر والأحكام والتقييمات، جنبًا إلى جنب مع تضخيم هذه التقييمات، والمشاركة فيها))[13]، وعند بيتر وايت: ((إطارٌ لتحليل لغة التقييم))[14]، وعند مارتن ووايت: ((نظرية لغوية وظيفية نظامية للتقييم في النَّصِّ))[15]، أمَّا ميكن هوريك (Macken Horarik) فيرى أنَّه: ((تسمية داخل اللسانيات الوظيفية النظامية لمجموعة من الموارد الدلالية للتفاوض على المشاعر والأحكام والتقييمات))[16]، وسواء أكان التقييم إطارًا أم نظرية فإنَّه يبحث عن مواضع التقييم (الموارد الدلالية) في النصوص ليعريها.

وهو –أي التقييم- يتكون من ثلاثة موارد دلالية متفاعلة فيما بينها، وهي: الموقف (attitude)، والمشاركة (engagement)، والتَّدَرُّج (graduation)[17]، ويمكن أن تصاغ هذه الموارد الدلالية الثلاثة–بحسب مارتن وروز- في هيأة ثلاثة أسئلة، وهي[18]:

- ما موقفنا؟ (الموقف).
- ما الطرائق التي يتم عبرها الحصول على هذه المواقف؟ (المشاركة).
- كيف يتم تضخيم هذه المواقف؟ (التَّدرُّج).

1. **الموقف**، يهتم هذا المورد بردود أفعالنا العاطفية، وأحكامنا السلوكية، وتقديرنا للأشياء[19]، فهو يتضمن ثلاث مناطق دلالية، وهي[20]:

1. **1.التَّأثُّر** (affect)، ويرتبط تقليديًّا بالعاطفة، إذ إن التَّأثُّرَ تسجيلٌ لمشاعرنا الإيجابية أو السلبية[21]، التي يمكن أن تصنف -بدورها- إلى ثلاث مجموعات رئيسة، وهي: (**السَّعَادَة/ الحُزْن**)، وتشير هذه المجموعة إلى المشاعر المتعلقة بشؤون القلب، و(**الأَمْن/ الخَوْف**)، وهي تشمل العواطف المتعلِّقة بموقفنا من البيئة أو من الأشياء المحيطة بنا، و(**الرِّضَا/ السُّخْط**)، وهي تشمل العواطف المتعلقة بالنشاطات وما ينجز منها[22].

1. **2. الحكم** (judgement)، ويرتبط تقليديًّا بالأخلاق/ السلوك، إذ يتعامل الحكم مع المواقف تجاه السلوك الذي نعجب به أو ننتقده، والذي نثني عليه أو ندينه[23]، بمعنى أنني في الحكم أبيِّن موقفي من الآخر، فالحكم –على هذا- وصفٌ لمواقفنا تجاه سلوك معين سواء أكان هذا السلوك خاصًّا بالأفراد أم

بالمؤسسات أو الدوائر التي يمثلها الأفراد، فالحكم على إدارة رئيس الوزراء الأسترالي (جون هوارد) –بحسب تعبير مارتن ووايت- بأنها إدارة لئيمة هو حكم على جون هوارد نفسه[24]، ويمكن تقسيم الأحكام إلى[25]:

1.2.1. **أحكام الاستحسان الاجتماعي** (social esteem)، التي تتعلق بالحالة الطبيعية (normality) أي مدى غرابة شخص ما، وبالقدرة (capacity)، أي مدى قدرته، وبالمثابرة (tenacity)، أي مدى صلابته.

1، 2، 2. **أحكام الاستهجان الاجتماعي** (social sanction)، ولها علاقة بالموثوقية (veracity)، أي مدى صدق الشخص، وبالأدب/ الاستقامة (propriety)، أي ما يتعلق بأخلاق شخص ما.

1، 3. التَّقدير (appreciation)، ويرتبط تقليديًّا بالجماليات، إذ يتضمن التقدير تقييمات للظواهر الطبيعية وفقًا للطرق التي يتم بها تقييمها أو لا تقييمها في مجال معين[26]، ويقسم التقدير إلى **ردِّ الفعل** (reaction)، أي هل تلفت الأشياءُ انتباهنا؟ هل ترضينا؟ و**التَّأليف** (composition)، أي إلى أيِّ مدى تكون الأشياء متوازنة، و**القيمة** (valuation)، أي إلى أيِّ مدى تكون هذه الأشياء مبتكرةً وحقيقيةً؟[27]

فالفرق بين هذه المناطق الدلالية المتفاعلة والمتقاربة في الوقت نفسه: (التأثر، والحكم، والتقدير)، أن الأول يتعلق بمشاعر الكاتب/ المتكلم نفسه، أو وصف لمشاعر غيره، فهو بيان لردود أفعاله العاطفية، أو وصف لردود أفعال غيره العاطفية، والثاني يتعلق بموقف الكاتب/ المتكلم من سلوك الآخرين، في حين يشير الثالث إلى موقف الكاتب/ المتكلم من الأشياء، فهو إظهار لقيمة الأشياء من حولنا[28].

وعلى الرغم من الجهد الكبير الذي يقدمه أصحاب هذه النظرية للتفريق بين هذه المناطق الدلالية إلا أنَّها ليست واضحة دائمًا، فقولنا: (**هذا الفلم يزعجني**) قد يعني وصفًا لمشاعرنا، وقد يعني –في فهم مختلف- تقديرًا للفلم[29].

2. المشاركة، في مورد المشاركة يدرس محلل النَّصِّ نوعين من الأصوات: الصوت الأحادي، والأصوات المتعددة/ غير المتجانسة، في الأول لا يشير الرَّاوي إلى أصوات أخرى ولا إلى وجهات نظر أخرى، في حين يستدعي في النوع الثاني الأصوات الأخرى، ويسمح فيه أيضًا ببدائل حوارية تعبر عن وجهات نظر أخرى[30]، بمعنى آخر إنَّ النَّصَّ الذي يعطي وزنًا للبدائل الحوارية يسمى نصًّا غير متجانس/ متعدد الأصوات، والنَّصَّ الذي يتجاهل البدائل الحوارية يسمى نصًّا أحادي الصوت.

2. 1. الصوت الأحادي (monogloss)، وهو الصوت الذي يلغي فيه ناقل الخبر الأصوات الأخرى أو يقمعها، وفيه يكون النَّصُّ أحاديًّا/ غيرَ حواريٍّ[31]، فالنُّصوصُ الأحاديَّةُ الصوت هي النُّصوصُ التي لا توجد فيها إشارةٌ صريحةٌ إلى وجهات نظرٍ أخرى غير وجهة نظر الكاتب/ المتحدث[32]، إذ يُفترض في بعض النُّصوصِ أنْ تظلَّ بمعزلٍ عن المواقف التقييمية (محايدة) نسبيًّا –على الأقلِّ عند مقارنتها بنصوص تقييمية أكثر وضوحًا- بالنسبة للقارئ/ السامع، كالنُّصوصِ الإخباريَّةِ الجَّادة التي يُفترض فيها أن تخلو من الإشارات التقييمية التي تؤدي إلى تعزيز المضمون أو تقويضه[33].

2. 2. الأصوات المتعددة (heterogloss)، وفي هذا النوع من الأصوات يشير النَّصُّ صراحةً إلى وجهات نظر لأصوات خارجية، ولكن ليس المهم –بحسب تعبير مارتن ووايت- مضاعفة الأصوات الخارجية الأخرى بقدر ما يكون الاهتمام بأيِّ هذه الأصوات تسمح بوجود بدائل حوارية وأيِّها لا تسمح، ويمكن تقسيم الأصوات المتعددة هذه إلى فئتين عريضتين، هما[34]:

2، 2، 1. الأصوات الموسِّعة (expand)، وتعمل على توسيع مساحة الحوار عبر نوعين من الموارد اللغوية، وهما: **الادّعاء المحتمل** (entertain)، ويتم عبر تقديم رأي الكاتب/ المتكلم على أساس أنَّه متأصلٌ في الذاتية الفردية بحيث يُمثِّل هذا الرأي

بوصفه واحدًا من مجموعة آراء محتملة، ومن ثمَّ فإنه يستدعي هذه الآراء أو البدائل الحوارية[35]، والمورد اللغوي الآخر للأصوات الموسِّعة هو **الإسناد** (attribute)، يتم الإسناد عبر تمثيل الرأي على أنَّه متأصل في ذاتية الصوت الخارجي، فالكاتب/ المتكلم يمثل الرأي الخارجي على أنَّه واحد من مجموعة آراء ممكنة، ومن ثمَّ فإنَّه يزيد مساحة الحوار ويعطي مجالًا للبدائل الحوارية أن تظهر، وهو يحصل إمَّا بالإقرار (acknowledge)، أو بالتَّنصُّل (distance)[36].

والغايةُ من الاتكاء على الموارد الموسِّعة هذه هو ترك المجال مفتوحًا لمشاركة أصوات ومواقف بديلة أخرى داخل الخطاب[37].

2، 2، 2. الأصوات المضيِّقة (contract)، تعمل على تضييق مساحة الحوار عبر نوعين من الموارد اللغوية أيضًا، وهما[38]:

2، 2، 2، 1. الدَّحض (disclaim)، وفيه يتم رفض بعض البدائل الحوارية أو استبدالها بشكل مباشر، ويحصل الدَّحض إمَّا بالإنكار (deny)، بوصفه موردًا لغويًّا لإدخال الموقف الإيجابي البديل في الحوار، ومن ثمَّ رفضه[39]، أو يحصل الدَّحض بالمعارضة (counter)، ويشمل الصياغات التي تمثل الافتراض الحالي على أنَّه معارضة لافتراض كان من المتوقع أن يحل محله[40].

وإنَّ استعمال موارد الدَّحض إنَّما يلجأ إليه الكُتَّاب/ المتحدثون لتزويد القارئ/ المستمع بمعتقدات وتوقعات معينة تميل إلى عدِّها أمرًا مفروغًا منه، ومن ثمَّ لا يُترك مجالٌ لوجهات النظر أو المواقف البديلة الأخرى[41].

2، 2، 2. التَّأكيد (proclaim)، وفيه يتم مواجهة البدائل الحوارية أو تحديدها أو تجاوزها أو استبعادها بطريقة ما، وفيه ثلاث فئات: **الاتفاق (concur)**، وتتضمن هذه الفئة الصياغات التي تعلن أن المتكلم/ الكاتب يتفق مع أو لديه المعرفة نفسها مع بعض الشركاء الحواريين المتوقعين[42]، أمَّا الفئة الثانية من التأكيد فهي **التَّصريح العلني** (pronounce)، وتشمل هذه الفئة الصياغات التي تتضمن تأكيدات أو تدخلات المؤلف الصَّريحة، والمكثفات ذات النطاق الجمعي، مثل: (حقًا، وبالفعل...). وفي الكلام يتضمن التَّصريح العلني وضع الضغط المناسب، نحو: (مستوى التسامح **هو** نتيجة تدخُّل الحكومة)، بالضغط على لفظة (هو)[43]. إنَّ مثل هذه التأكيدات من المؤلف تعني وجود مقاومة للرأي المطروح أو على أقل تقدير تعني وجود شك فيه، ممَّا يدفع المؤلِّف إلى الوقوف ضدَّه، ومن ثمَّ فإنَّه يعمل على تقليل مساحة الحوار لهذا البديل في أيِّ تفاعل حواريٍّ قادم[44]، والفئة الأخيرة من التأكيد هي **التَّعضيد** (endorsement)، ويشير هذا المصطلح إلى تلك الصيغ التي تصف الصوت الخارجي على أنَّه صحيح أو صالح أو لا يمكن إنكاره أو يمكن ضمانه[45]، وفي هذه الفئة من التَّأكيد يتَّحد صوت المؤلِّف الداخلي بالصوت الخارجي، بمعنى أنَّ المؤلِّف –في هذه الفئة- يصادق على الصوت الخارجي أو يعضده ممَّا ينتج عنه تضييق في البدائل الحوارية، وهو يشبه الإسناد في الأصوات الموسِّعة إلَّا أنَّ في هذا الأخير يفترق صوت المؤلِّف الداخلي عن الصوت الخارجي ممَّا ينتج عنه توسيع في البدائل الحوارية، وهو فرق جوهري بين التَّعضيد والإسناد[46].

3. **التَّدَرُّج** (graduation)، إنَّ التَّدرُّجَ مركزيٌّ في التقييم، إذ يدخل في الموقف: (التَّأثُّر، والحكم، والتقدير) مثلما يدخل في المشاركة، فهو يعمل في منطقتي: الموقف والمشارك، ففي الأولى يبين درجة (أكبر أو أقل) من المشاعر الإيجابية أو السلبية، وفي المنطقة الثانية يبين (يزيد أو يقلل) درجة المشاركة[47]، يقول مارتن ووايت: ((إنَّ الموقفَ والمشاركةَ مجالات تدرُّج تختلف باختلاف طبيعة المعاني التي يتم قياسها))[48]، والتَّدرُّج نوعان، هما: **القوة** (force)، وتغطي إما درجة الشدة (intensification)، أو التحديد الكمي (quantification)، وتختص درجة الشدة

إما بالصفات، أو بالعملية (الحدث)[49]، أما التحديد الكمي فيختص بالمقاييس غير الدقيقة للعدد، أو للحجم، أو للوزن، أو للمدى/ المسافة[50].

والنوع الثَّاني من أنواع التَّدرُّج يسمى **التركيز**(focus) ويصار فيه إلى تعديل قوة الحدود بين الفئات، ويتم إما بالشَّحذ/ الحدَّة (sharpen)، أي جعله حادًّا، أو بالتخفيف (soften)[51].

وصفوة القول: إنَّ نظريَّة التَّقييم تسعى إلى بيان الألفاظ والأساليب اللغويَّة التَّقييميَّة التي يعتمدها المتكلمُ في نصِّه أو خطابه من أجل استمالة المتلقي، أو محاولة التَّأثير فيه، هذا من جانب ومن جانب آخر فإنَّها تحاول أن تفضحَ محاولات التَّأثير أو الاستمالة التي يمارسها منتج النَّصِّ أو الخطاب على قارئه، أو هي –بعبارة أخرى- محاولة لتقليل آثار الهيمنة والسلطة التي يمارسها الأفراد على غيرهم، فالجميل في هذه النَّظرية أنَّها تنطلق من اللغة نفسها (الألفاظ، والتراكيب، والجمل) لتصل إلى ما هو خارج اللغةِ، وهو الهدف الرئيس لهذه النَّظريَّة، إذ إنَّها تهدف إلى كشف أساليب التَّأثير في المتلقي، ومن ثمَّ فإنَّها تهدف إلى زيادة وعي المتلقي بتلك الأساليب، على أننا يجب ألَّا ننسى ونحن نؤكد دور الموارد اللغويَّة التَّقييميَّة في كشف مواقف منشئ النَّصِّ أو أغراضه الدور الكبير الذي أعطته نظريَّة التَّقييم للسياق، فاستعمال بعض الألفاظ قد لا يكون بمعناها الحقيقي الذي وضعت من أجله، لا بل قد تستعمل فتعطي دلالة مناقضة لدلالتها الحقيقية، وعلى المحلل الانتباه إلى ما يؤديه السِّياق من دورٍ كبيرٍ في بيان معنى ما نقرأه أو نسمعه، فضلاً عن هذا فإن نظريَّة التَّقييم لا تبحث في الموارد اللغويَّة المباشرة فحسب، بل تبحث -إلى جانب ذلك- في الدلالات التي يولدها المجاز كالتَّشبيه والاستعارة وغيرهما، ممَّا تعطي أكثر ممَّا تعطيه الدلالة الحقيقية.

خبر المناظرة:

تعدُّ هذه المناظرة التي حدثت بين سيبويه والكسائي والمعروفة بالمسألة الزُّنبوريَّة من أشهر المناظرات في تاريخ النَّحو العربيِّ؛ لأسباب عدَّة، منها:

1. أنَّها جرت بين شخي المدرستين: البصريَّة، والكوفيَّة، فكلُّ واحدٍ منهما يمثل مدرسة لها أصولها وأعلامها وأتباعها.
2. نتج عنها، فضلًا عن انتصار أحدهما وخسارة الآخر، أثرٌ معنويٌّ لأحدهما تسبب بوفاته.
3. انقسام النَّحويين والمؤرِّخين، بعدهما، على قسمين أخذ كلُّ قسمٍ منهما ينتصرُ لأحدهما، ويدافعُ عنه.

وقد شجَّع هذا الانقسام الذي نتج عنه تعدد روايات الخبر الباحثَ على التَّحقُّقِ من مضمون هذا الخبر من حيث الحياديَّة في النقلِ أو الانحياز ممَّا يجعل من هذا الخبر مثالًا مناسبًا لتطبيق نظريَّة التَّقييم عليه.

يبدأ هذا الخبر النَّحوي (خبر المناظرة) مثلما تبدأ النُّصوصُ الإخباريَّة الأخرى التي تتضمَّن سلسلة السَّند (سلسلة الرُّواة هنا) بلفظة تدلُّ على أنَّ راوي الخبر كان مرويًّا له، ثُمَّ أصبحَ –بعد أن تبادل الأدوار- راويًا للخبر[52]، لذا -ومن أجل اليسر في التَّفريق بين سلسلة السَّند هذه- سنعمد إلى تسمية ناقل الخبر أو ناظمه أو موصله إلينا بـ (**الرَّاوي النَّاظم**)، وهو راوٍ –حاله مثل حال مَن نقل عنه من الرُّواة ما عدا الرَّاوي الأوَّل- خارج الحكايَّة يُفترض فيه أن يكونَ محايدًا، أمَّا الرَّاوي الأوَّل في سلسلة السَّند، وهو إمَّا الفرَّاء -على أغلب الرِّوايات- أو سيبويه – على أقلها- فسنعمد إلى تسميته بـ (**الرَّاوي الرَّئيس**)، فهو الرَّاوي لهذا الخبر، والمشارك فيه، وما بين الرَّاوي النَّاظم والرَّاوي الرَّئيس ثمة عددٌ من الرُّواة سنعمد إلى تسميتهم بـ (**الرَّاوي الوسيط**).

والرَّاوي –في هذا النَّوع من النُّصوص- راوٍ حقيقيٌّ له موقفه من هذا الخبر، ومن ثمَّ فإنَّ له موارده التَّقييميَّة -بحسب تعبير مارتن ووايت- التي تكشف

هـذا الموقـف، ويكـون هـذا إمَّـا باختيـاره لروايـة معينـة وتركـه لغيرهـا، أو يتضـح موقفه عبر الموارد اللغويَّـة التَّقييميَّـة التـي يثبتهـا فـي تعليقـه علـى الروايـة، أو التـي يحذفها من أصل الخبر، بمعنى آخر: إنَّه ليس كالرَّاوي في القصص أو الرِّوايات أو الأعمال الإبداعية المختلفة التي تكون فيها المواقف منسوبة إلى مؤلفِ العملِ الإبداعيِّ لا إلى راويه، فالمؤلفُ في مثل هذه الأعمال يخلقُ –أحيانًا- راويًا، ويضعُ على لسانه موارد لغويَّة تُعَبِّرُ عن موقفه هو لا عن موقف الرَّاوي.

الدراسة التطبيقية:

ورد خبـر منـاظرة سـيبويه والكسـائي بروايات عدة[53]، وهذه الرِّوايات التي تجمع علـى أنَّ هنـاك منـاظرة حـدثت بـين سـيبويه والكسـائي حـول مسـألة عرفـت فـي كتـب التَّـراجم والأخبـار وبعـض الكتـب النَّحويـة بالمسألة الزُّنبوريَّة، وقد آلت نتيجتها لصـالح الكسائيِّ[54] ، لم تـأتِ علـى وتيـرة واحـدة – وإن اتَّحدت في المضـمون- فـالرُّواة الأوائـل أنفسهم لم يتفقوا علـى روايـة واحـدة لا علـى مسـتوى الزمـان ولا علـى مسـتوى المكـان، ولا حتى على مستوى النتيجة التي آلت إليهـا المنـاظرة، فبعضـهم قـال: إنَّ المنـاظرة حصلت أيام الرشيد[55]، وبعضـهم قـال: إنَّهـا في أيام الأمين[56]، أمَّا على مستوى المكـان، فمـنهم مـن قـال: إنَّهـا عقـدت فـي مجلـس الرشيد[57]، ومنهم من قال: إنَّهـا فـي مجلـس وزيره يحيى البرمكيِّ[58]، وقيـل فـي مجلـس الأمـين[59]، أمَّـا الاخـتلاف فـي النتيجـة، فبعضهم قال: إنَّها حسمت لصـالح الكسـائيِّ، وبعضهم نسب الغلبة لسيبويه[60].

وقد نتج عن حقيقة التعدد في رواية خبـر هذه المناظرة أن أصبحنا أمام خبر وروايات متعـددة لعـلَّ الاخـتلاف فيهـا يعـود –فـي بعضه- إلى بعد الخبـر عـن ناظمـه، فـالفرق بين الزَّجَّاجيِّ –بوصفه أقدم من نقل الخبـر إلينا وهـو النَّـاظم الأول لهـذا الخبـر- ووقـت حصول هذه المناظرة قد يقرب من القـرنين، فضـلًا عـن اخـتلاف الـرُّواة فـي مـذاهبهم النَّحوية فراح كلُّ واحدٍ منهم يصـوغ خبـره بما ينسجم مع موقفه، فظهـر الاخـتلاف فـي مواقفهم بين المؤيد لرأي سيبويه، أو المؤيـد لـرأي الكسـائي، أو الـذي التـزم الموقـف المحايـد ظـاهرًا، ووضـع الخبـر فـي خانـة المنتصـر لأحـدهما، أو المحايـد يراعـى فيـه وجود أحد المعايير الثلاثة أو بعضها أو كلِّها من عدمه، وهذه المعايير هي:

1. التَّصريح بانتصار أحدهما.
2. تبرير رأي أحدهما، أو الدفاع عنه.
3. الرَّد على خصمه أو خصومه.

وفي ضوء هـذه المعـايير الثلاثـة يمكننـا أن نرتضـي القسـمة الثلاثيـة لهـذه الرِّوايـات التي يمكن تصورها على النَّحو الآتي:

ت	الرِّواية الأولى خبر الانتصار لسيبويه	الرِّوايـة الثَّانية خبـر الانتصـار للكسائي	الرِّوايـة الثَّالثة الخبـر المحايـد ظاهرًا[61]
1.	خبـر الزَّجَّـاجيِّ (الـرَّد على خصوم سيبويه).	خبـر الخطيـب البغـداديِّ (الرَّد على خصـوم الكسائيِّ).	خبـر ابـن النَّديم.
2.	خبر الزَّبيديِّ (الرِّواية الأولـى[62])، (تبريـر صحة رأي سيبويه).		خبـر يـاقوت الحمويِّ.
3.	خبـر التَّنـوخيِّ (الـرَّد على خصوم سيبويه).		خبر القفطيِّ.
4.	خبـر ابـن الشَّـجَريِّ (التَّصريح بصحة رأي سيبويه، وتبرير صحة هذا الرأي، والرَّد على خصومه).		خبـر اليعموريِّ.
5.	خبر ابن الأنباري في الإنصـاف[63] (الـرَّد على خصوم سيبويه).		خبـر ابـن خلِّكان.
6.	خبـر السَّـخاوي (التَّصريح بصحة رأي سيبويه).		
7.	خبـر الرَّضـي (الـرَّد على خصوم سيبويه).		
8.	خبر ابن هشام (الرَّد على خصوم سيبويه).		
9.	خبـر الـدَّمامينيِّ (الـرَّد على خصوم سيبويه).		
10	خبر السّيوطيِّ في بغية الوعـاة[64] (التَّصـريح بصحة رأي سيبويه).		
11	خبـر المقـرئ (التَّصريح بصحة رأي سـيبويه، والـرَّد علـى خصومه).		

12	خبر ابن العماد الحنبلي(الرِّواية الأولى والثالثة[65])،(التَّصريح بصحة رأي سيبويه، وتبرير صحة رأيه.		

فهذه المواقف الثلاثة -التي تمثلها الرِّوايات الثلاث- تعطي مثالًا واضحًا على تدخل الرَّاوي فيما ينقله، فالخبر على الرَّغم من أنَّه لا يبدو مختلفًا، فهو ينقل الحدث نفسه، والرَّاوي الرئيس فيه -في الغالب- واحدٌ، وهو الفرَّاء إلا فيما نقله الأخفش عن سيبويه، وكذلك سلسلة السَّند -في الغالب- واحدة، إلا أننا نجد الرَّاوي النَّاظم قد نقل الخبر بطريقة تكشف عن مواقف أيديولوجيا مختلفة تمامًا.

الرِّواية الأولى: خبر الانتصار لسيبويه

صرَّح عددٌ من علماء العربيَّة بانتصار سيبويه على الكسائيِّ في هذه المناظرة، أو نَافَحَ عنه أو لَجَمَ خصمه بحجج مختلفة بعضها يعتمد النقل وبعضها الآخر يعتمد القياس، وهذه الرِّوايات -ما عدا الرِّواية الأولى والرِّواية الثَّانية من الرِّوايات الثلاث التي نقلها إلينا الزَّبيديُّ- كلُّها جاءت موافقة لما نقله لنا الزَّجَّاجيُّ، لذا سنعمد إلى تحليل رواية الزَّجَّاجيِّ ونشير إلى المواضع التَّقييميَّة المضافة في الرِّوايات الأخرى، ولا سيما في روايتي الزَّبيديِّ اللتين ذكرناهما؛ لاختلافهما في الرَّاوي الرئيس والرَّاوي الوسيط وطريقة عرض الأحداث.

قال الزَّجَّاجيُّ:

((حدثني أبو الحسن[66]، قال: حدثني أبو العبَّاس أحمد بن يحيى، وأبو العبَّاس محمد بن يزيد وغيرهما، قال أحمدُ: حدثني سلمة قال: قال الفرَّاءُ))[67].

فقد أتى على ذكر سلسلة سند الخبر التي تنتهي بالفرَّاء، وبقوله: (قال الفرَّاء) ينتهي كلامه ليبدأ كلام الرَّاوي (الفرَّاء)، وإيراد الزَّجَّاجيِّ لهذا السَّند وفيهم ثعلبٌ (الكوفيُّ)[68]، والمبرِّد (البصريُّ)[69] كان بقصد إظهار الخبر على أنَّه ممَّا اتفقت عليه المدرستان: البصريَّة والكوفيَّة، ثم ذكره للفظة (وغيرهما) -وهي موردٌ لغويٌّ تقييميٌّ مهمٌّ في نظريَّة التَّقييم- التي توحي بوجود عدد كبير ممَّن سمعوا هذا الخبر بلفظه الذي سيورده لاحقًا.

ثمَّ إنَّ اختيار الزَّجَّاجيِّ (البصريِّ)[70] لرواية الفرَّاء (الكوفيِّ)[71]، وتركه لرواية سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (البصريِّ)[72] إنَّما كان ذلك عن قصد منه ليطمئن السَّامع/ القارئ بحيادية هذا الخبر أو عدم انحيازه، فهو نقله عن راوٍ (كوفيٍّ)، وبسلسلة سند أجمع عليها البصريون والكوفيون على حدٍّ سواء، ومثل هذا النوع من الخيارات المقصودة يمكنه أن يثيرَ ثقة القرَّاء/ المستمعين لما يحمله من سلطةٍ علميَّةٍ تتمثل في سلسلة السَّند التي بدأ بها راوي الخبر كلامه.

هذا فيما يخص اختيار الرِّواية، أمَّا فيما يخص طريقة عرضها، واختيار الموارد اللغويَّة التَّقييميَّة فيها، فقد صيغت هذه الرِّواية بطريقة يوظِّف فيها ذكر الموارد اللغويَّة أو حذفها لخدمة الموقف العامِّ للرَّاوي النَّاظم، ومن أمثلة تلك الموارد اللغويَّة التَّقييميَّة التَّأثُّريَّة التي تُعبِّر عن المشاعر في الخبر ما رواه الزَّجَّاجيُّ عن غيره بعد أن تابع العربُ الكسائيَّ وقالوا بقوله، قال:

((فاستكانَ سيبويه))[73].

ومن أمثلتها أيضًا أقوال الزَّبيديِّ فيما نقله عن غيره:

-**((ما لبث إلَّا يسيرًا، ثمَّ مات كمَدًا))**[74].

-**((فوَجَمَ لذلك سيبويه))**[75].

-**((فخطَّأته الجماعة وحَصِر))**[76].

-**((وما قتله إلا الغمُّ لما جرى عليه))**[77].

فالذل والخضوع الذي شعر به سيبويه، وعبَّر عنه المورِدُ اللغويُّ التَّقييميُّ (**استكان**)[78] في قول الزَّجَّاجيِّ، والحزن الشديد الذي كتمه سيبويه ولم يستطع البوح به، وعبَّر عنه المورد اللغويُّ التَّقييمي (**كَمَدًا**)[79] في قول الزَّبيديِّ الأوَّل، والسّكوت والعجز عن الكلام من شِدّة غيظ سيبويه وعبَّر عنه المورد اللغويُّ التَّقييميُّ: (**وَجَمَ**)[80] في قوله الثَّاني، والضِّيق والامتناع عن النُّطق الذي أصاب سيبويه، وعبَّر عنه المورد اللغويُّ التَّقييميُّ: (**حَصِر**)[81] في قوله الثَّالث، والحزن والكرب لما جرى على سيبويه وعبَّر عنه المورد اللغويُّ التَّقييميُّ: (**الغُمُّ**)[82] في قوله الرَّابع كلُّها تعبِّر عن مواقف سلبية خاصة بالحالة الشُّعوريَّة لسيبويه ممَّا آلت إليه نتيجة المناظرة، وتصنَّف هذه الحالة الشُّعوريَّة السلبية في مجموعة السُّخط أو عدم الرِّضَا، وهي تشمل –والكلام لمارتن ووايت- العواطف المتعلِّقة بالنشاطات وما ينجز منها[83]، وقد جيء بها –هنا- لغاية أساسية تتمثَّل في تحريك مشاعر القارئ أو السَّامع، ومن ثمَّ التَّعاطف مع سيبويه على حساب خصمه الكسائيِّ.

فالرَّاوي النَّاظم وهو ينقل خبره إلى متلقيه يعي جيدًا أنَّ هذه الموارد اللغويَّة السَّابقة لا تؤثِّر في مضمون الخبر ويمكن حذفها منه–مثلما سنلاحظ ذلك عند رواة آخرين- ولكنَّه –من جانب آخر- يدرك الدور الكبير الذي تؤدِّيه هذه الموارد في بيان المواقف، ومن ثمَّ بيان تأثيرها في المتلقي.

وممَّا تجدر الإشارة إليه –هنا- أنَّ التَّأثُّرَ قد لا يأتي باللفظِ المباشرةِ فقط، بل قد يُعَبَّر عنه باللفظِ غير المباشر الذي يُفهم على أنَّه تأثُّرٌ بلحاظِ السِّياق، ومن أمثلة ذلك قول الزَّجَّاجيِّ:

((قال –أي الفرَّاء- فلما كثر ذلك، قال – أي سيبويه- لستُ أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتَّى أناظره))[84].

فقول سيبويه (**لستُ أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتَّى أناظره**) جاء نتيجة طبيعية لتخطئة الفرَّاء له أكثر من مرة، فرفض الكلام مع الفرَّاء وزميله الأحمر هو تعبيرٌ غيرُ مباشرٍ عن مشاعر الاستياء والامتعاض التي يمر بها، فالشُّعور بالسُّخط أو عدم الرِّضا جعله يتوقف عن مواصلة المناظرة، فكأنَّه أراد أن يقولَ: فلما كثر ذلك عليه غضب أو نحو ذلك، وقال: لا أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتَّى أناظره، فالتَّأثُّرُ –على هذا- غيرُ مباشرٍ يُفهم بلحاظ السِّياق.

ولعلَّ الغايةَ من إيراد تلك الموارد اللغويَّة التَّقييميَّة التَّأثُّريَّة في النَّصِّ هو توجيه المتلقي نحو الموقف الذي يتبناه الرَّاوي النَّاظم وهو الانتصار لسيبويه على خصومه، وليس الاعتماد على الموارد التَّأثُّريَّة وحدَها في توجيه المتلقي نحو هذا الموقف، فقد يلجأ الرَّاوي النَّاظم إلى إيراد بعض الأحكام التي تبين موقفه من الخبر، فالحكمُ موقفٌ أيضًا مثل التَّأثُّرِ، ولكنه تجاه سلوك الآخرين الاجتماعي سواء أكان استحسانًا أم استهجانًا[85]، ومن أمثلة أحكام الاستهجان الاجتماعي في هذا الخبر ما أعطاه الرَّاوي الرَّئيس -على لسان الأحمر- من حكمٍ تمثَّل في قوله لسيبويه: (**أخطأتَ**)، وكررها ثانية، وثالثة، يقول الفرَّاء:

((فأقبل عليه- أي على سيبويه- الأحمرُ، فسأله عن مسألةٍ أجاب فيها سيبويه، فقال له- أي الأحمر- أخطأتَ، ثمَّ سأله عن ثانيةٍ، فأجابه فيها، فقال له: أخطأتَ، ثمَّ سأله عن ثالثةٍ، فأجابه فيها،

فقـــال لـــه:
أخطـأتَ، فقـال
له سيبويه: هذا
سوء أدبٍ))[86].

وهو حكمٌ استهجانيٌّ لرأي سيبويه، ومن ثمَّ فإنَّه حكمٌ استهجانيٌّ لسيبويه نفسه، ثمَّ إنَّ الرَّاوي الرَّئيس قد اقتطع جزءًا من الخبر تمثَّل في المسائل الثلاث التي سأل الأحمر فيها سيبويه وإجابة سيبويه كذلك، فلم يرد أن يصارحَ السامعَ/ القارئ بمضمون الخبر كاملًا واكتفى بذكر الحكم (**أخطأتَ**)؛ لأنَّه يعي جيدًا أنَّ المتلقي سيعرف الحقَّ مع مَن إذا ما ذكر السُّؤال والجواب، وهذا ما صرَّح به الزَّجَّاجيُّ فيما نقل عنه، قال:

((**أمَّـا حكايـة**
الفـرَّاء عـن
الأحمـر عـن
المسائل، وأنَّـه
قـد أجـاب، فقـد
شـهِدَ بإجابتـه،
فـلا يُلتفـتُ إلـى
قولـه: أخطـأتَ،
وأيضًا فلم يذكر
المسـائلَ
والجـوابَ لـيُعلمَ
وجهُ الخطأ مـن
الصَّواب))[87].

فهذا الحكم الذي صرَّح به الرَّاوي الرَّئيس لم يكن مقبولًا من الرَّاوي النَّاظم لذلك عقب عليه وردَّه، في حين أغفل الرَّاوي النَّاظم أو سكت عن التَّعليق على حكم نقله إلينا الرَّاوي الرَّئيس تمثل في قول سيبويه في حقِّ خصمه الأحمر: (**هذا سوءُ أدبٍ**)، وأحيانًا قد يعقب الرَّاوي النَّاظم بما يؤكد مضمون الحكم كما فعل الدَّماميني الذي عقب على هذا الحكم بقوله:

((**ولقد صدق سيبويه رحمه الله في أنَّ هذا سوء أدبٍ من الأحمر**))[88].

فالرَّاوي النَّاظم يأخذ من الخبر ما يخدم موقفه هو ويترك ما لا يخدمه، أو إنَّه يذكر ما لا يخدم موقفه أو توجهاته ولكنه يعقب عليه بما يبيِّن رفضه لمضمون ذلك الخبر.

وممَّا تجدر الإشارة إليه في هذا الجزء من الخبر أنَّ الرَّاوي لم يذكر لنا تأثُّر سيبويه بتصرفات الأحمر غير المقبولة، واكتفى بما نتج عن هذا التَّأثُّر من ردِّ فعلٍ لسيبويه تمثَّل في قوله السَّابق: (هذا سوءُ أدبٍ)، كما أننا قد نجد، في روايات أخرى على ما سنلاحظ بعد ذلك، تأثُّرًا من دون أن يذكر الحكم، يقول الخطيب البغدادي بعد أنْ خطَّأ الأحمرُ سيبويه في المسائل التي سأله عنها:

((**فغضب سيبويه**))[89].

فلفظة (**غضب**) التي جاءت وصفًا لشعور سيبويه تجاه تصرفات الأحمر قد عوَّضت عن إيراد الحكم في هذه الرِّواية، وكأنَّ التَّأثُّرَ، في مثل هذه الحالات، يقوم مقام الحكم والعكس صحيح أيضًا[90]، كما يدلُّ أيضًا، من زاوية أخرى، على أنَّ هذه الموارد اللغويَّة التَّقييميَّة لا يشترط فيها أن تردَ مباشرة في النَّصِّ، بل قد يكتفى بما يوحي به السِّياق من دلالة أو دلالات تقوم مقام ذلك الشُّعور العاطفي الذي انتاب سيبويه، وهو شعور يدلُّ على الغضب أو السُّخْط من تصرفات الأحمر.

ثمَّ أطلق الفرَّاءُ حكمًا استهجانيًّا آخر على الأحمر، ولكن هذه المرة ليس على لسان خصمه سيبويه، بل على لسانه هو ، يقول بعد أن رأى علامات الغضب باديةً على سيبويه:

((**فأقبلتُ عليه،**
أي علـــى
سيبويه، فقلتُ:
إنَّ فـي هـذا
الرَّجـلِ، أي
الأحمـر،
حـدَّةً[91]
وعجلة))[92]

فالحكمُ الاستهجانيُّ تمثَّل في قوله: (**إنَّ في هذا الرَّجلِ حدَّةً وعجلةً**)، وهو حكم على سلوك رفيقه وزميله في هذه المناظرة، ولا يعقل أن يُفهمَ هذا الحكم على حقيقته، فالفرَّاء هو أحد أطراف هذه المناظرة، وموقفه صريح ومعلن في الوقت نفسه، فهو يقف إلى جانب أستاذه الكسائيِّ، وبطبيعة الحال فإنَّه يقف إلى جانب زميله الأحمر، وأغلب

الظَّن أن الفرَّاءَ أرادَ بهذا الحكم أن يخففَ من حدَّة النِّقاش، وأن يبقيَ على قناة التَّواصل مع سيبويه مفتوحةً تمهيدًا لما سيلقيه من أسئلة عليه[93]، قال:

((**ما تقول فيمن قال: هؤلاء أبون، ومررت بأبين، كيف تقول مثل ذلك من وأيتُ وأويتُ؟**))[94].

فالفرَّاءُ –عبر حكمه الاستهجانيِّ السابق- لم يرد المعنى الحقيقيَّ، وممَّا يؤيد هذا التَّفسيرَ أنَّه أردف هذا الحكم السلبيَّ في حقِّ الأحمر بحكم سلبيٍّ في حقِّ سيبويه تمثَّلَ في قوله: (**لا يصيبُ**)، قال الفرَّاءُ تعليقًا على تقدير سيبويه في المسائل السابقة:

((**فقدَّر، أي سيبويه، فأخطأ، فقلتُ، أي الفرَّاء، أعد النَّظرَ فيه، فقدَّر فأخطأ، فقلتُ: أعد النَّظرَ ثلاثَ مرات، يجيبُ ولا يصيبُ**))[95].

فالموردُ اللغويُّ التَّقييميُّ: (**لا يصيبُ**) يمثِّلُ حكمًا استهجانيًّا لقدرة سيبويه على التَّقدير.

وفي سؤال الكسائيِّ لسيبويه:

((**ما تقول أو كيف تقول: قد كنتُ أظنُّ أنَّ العقربَ أشدُّ لسعةً من الزُّنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إيَّاها، فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النَّصب، فقال الكسائيُّ: لحنتَ**))[96].

يطالعنا المورد اللغويُّ التَّقييميُّ (**لحنتَ**)، وهو يمثِّل حكمًا استهجانيًّا في حقِّ سيبويه.

أمَّا من أمثلة أحكام الاستحسان الاجتماعي في خبر المناظرة هذه فيتمثل في قول الكسائيِّ الذي جاء في أغلب الرِّوايات[97] واصفًا العربَ التي تحكم بينهما:

((**هذه العربُ ببابِكَ، قد جمعتَهم من كلِّ أوبٍ، ووفدتْ عليكَ من كلِّ صُقْعٍ، وهم فصحاءُ النَّاسِ، وقد قَنِعَ بهم أهلُ المصرين، وسَمِعَ أهلُ الكوفةِ وأهلُ البصرةِ منهم، فيحضرون ويُسألون فقال يحيى وجعفرُ: لقد أنصفتَ**))[98].

فقد استعملَ أحكامَ الاستحسان الاجتماعيِّ التي تمثلها الأقوال الثلاثة: (**فصحاءُ النَّاسِ**)، و(**قَنِعَ بهم أهلُ المصرين**)، و(**سَمِعَ أهلُ الكوفةِ وأهلُ البصرةِ منهم**)، وهي أحكامٌ تتعلق بما يسمَّى بالقدرة (capacity) في نظريَّةِ التَّقييمِ[99]، وهي أحكامٌ إيجابيَّةٌ تبيِّن قدرةَ هؤلاء العرب على الحكم بين علمين كلُّ واحدٍ منهما يمثِّل مدرسته، فضلًا عن هذه الأحكام الاستحسانية الثلاثة التي تلفظ بها الكسائيُّ ثمة حكمٌ استحسانيٌّ رابعٌ في هذا الجزء من الخبر يمثله قولُ يحيى وجعفر للكسائيِّ: (**أنصفتَ**)، إذ أظهر قدرةَ الكسائيِّ على إيجاد الحلول في أصعب المواقف.

وهذه الأحكام الاستهجانية في حقِّ سيبويه، والاستحسانية في حقِّ الكسائيِّ والأعراب الذين أيدوه لم تكن ليقبلها الرَّاوي

النَّاظم ويثبتها فيما حكاه من أخبار لولا أنَّه عقب عليها وردَّها إمَّا بالتَّصريح أو بالتبرير والدفاع أو بالجواب عن كلمات الخصم، فمن أمثلة التَّصريح بانتصار سيبويه في هذه المناظرة قول ابن الشَّجَريِّ: ((**إنَّ الصَّحيح في هاتين المسألتين -يعني المسألة الزُّنبوريَّة وما شابهها- قول سيبويه**))[100]، وقول السَّخاويِّ بعد أن عرضَ رأي الزَّجَّاجيِّ الذي ينتصر فيه لسيبويه: ((**هذا الذي قاله أبو القاسم – أي الزجاجي- هو الحقُّ**))[101]، وقول السيوطي بعد أن تحدثَ عن مناظرة أخرى حدثت بين الكسائيِّ واليزيديِّ: ((**وظُلِمَ –أي الكسائي- فيها كما ظَلَمَ هو سيبويه**))[102]، وقول المقري: ((**وسألَ بعضُ الأدباء الأستاذ الأعلم المذكور عن المسألةِ الزُّنبوريَّةِ، المقترنة بالشهادة الزوريَّة**))[103]، وقوله أيضًا بعد أن ردَّ على من خطَّأ سيبويه: ((**فقد تبيَّن خطؤهما وإصابة سيبويه في لزوم الرَّفع في الخبر فقط**))[104].

ومن أمثلة تبرير رأي سيبويه، أو الدفاع عنه قول ابن الشَّجَريِّ مبرِّرًا لما آلت إليه نتيجة المناظرة، ومدافعًا عن سيبويه: ((**وكان للكسائيِّ بهم –أي بالأعرابِ- أنَسَةٌ، وسيبويه إذ ذاك غريبٌ طارئٌ عليهم**))[105].

ومن أمثل الرَّد على خصمه قول التَّنوخيِّ الذي ردَّ فيه على الفرَّاءِ، قال: ((**وأمَّا قولُ الفرّاءِ لسيبويه: كيفَ تقولُ على مذهبِ من قال: (هؤلاءِ أبون) من وأى وأوى، فإنَّ الجوابَ عنه...**))[106]، وقول أبي البركات الأنباريِّ منتصرًا لسيبويه ورادًّا رأي خصمه: ((**أمَّا الجوابُ عن كلمات الكوفيين...**))[107]، وغيرهما.

وعلى هذا فكلُّ حكمٍ -سواء أكان إيجابيًّا أم سلبيًّا-لا يرتضيه الرَّاوي النَّاظم أو لا يتلاءم مع موقفه، فإنَّه إمَّا أن يحذفه من أصل الخبر أو أن يردَّ عليه، أمَّا الحكم الذي يرتضيه فإنَّه يثبِّته ولا يعلق عليه، وهذا ما لاحظناه في ذكره للحكم الذي قيل في حقِّ الأحمر: (**إنَّ في هذا الرَّجلِ حدَّةً وعجلةً**)، فالرَّاوي النَّاظم يرتضيه لذلك ذكره، ولم يعلق عليه.

أمَّا فيما يتعلق بمورد المشاركة فيرى مارتن وايت أن بعضَ النُّصوص تأتي محايدة ولاسيما النُّصوص الإخباريَّة التي يفترض فيها أن تنقل الخبر من دون ذكر الإشارات التَّقييميَّة أو التَّدخُّل المباشر أو غير المباشر[108]، فالمفروض في الخبر أن يكونَ أحاديَ الصوتِ؛ لأنَّه نقلٌ لمعلومة ما أو حدثٍ ما إلى متلقٍ حاضرٍ أو مفترض، ولكن ما وجدناه في خبر المناظرة هذه أنَّه نقلٌ -فضلًا عن محتوى الخبر- لمجموعة من العلاقات الحوارية مثلت أصواتًا متعددة بين أصوات شخصيات الخبر الرئيسة: الرَّاوي النَّاظم الذي لا يظهر صوته إلا في بداية الخبر وبعد الانتهاء منه، فهو يكتفي بما أوردته إحدى الشَّخصيات المؤثرة في سير أحداث المناظرة، وهي شخصية الرَّاوي الرئيس –الفرَّاء في أغلب الرِّوايات- وهو أحد الممهدين لهذه المناظرة مع الأحمر، ثمَّ هناك الطرفان المتنازعان في المناظرة: سيبويه والكسائي، وأخيرًا هناك صوت المبادِر بالمناظرة (يحيى البرمكي –على أكثر الرِّوايات- أو هارون الرشيد).

إنَّ القول بتعدد أصوات الخبر يعني -بطبيعة الحال- تعددًا في مواقفهم من هذا الخبر، ويعني في الوقت نفسه أنَّه ينافي الحقيقة المفترضة في حياديَّة هذا الخبر، وهذا ما نحاول أن نبيِّنه عبر بعض النَّماذج التقييميَّة:

في سؤال الكسائيِّ لسيبويه:

((**ما تقول أو كيف تقول: قد كنتُ أظنُّ أنَّ العقربَ أشدُّ لسعةً من الزُّنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إيَّاها؟**))[109]

يورد الرَّاوي النَّاظم نقلًا عن الرَّاوي الرَّئيس إجابةَ سيبويه وردَّ الكسائيِّ عليه بطريقة تجعلهما متكافئين، فإجابةُ سيبويه هي دحضٌ بالإنكار، فقوله: (**لا يجوز النَّصب**) يستدعي قولًا موجبًا، وهو القول بجواز النَّصب، ومن ثمَّ رفض القول

المستدعى، وكلُّ قولٍ سلبيٍّ يستدعي قولًا إيجابيًّا هو دحضٌ بالإنكارِ بحسب مصطلحات نظريَّة التَّقييم[110]، وفي مثل هذا الإجراء من سيبويه رفضٌ للبدائل الحوارية الممكنة، أو هو تضييق للمساحة الحوارية مع خصمه الكسائيِّ، وفي المقابل نجد في قول الكسائيِّ (**ليس هذا كلام العرب**) استدعاء للقول الموجب: (هذا كلام العرب) ومن ثَمَّ فإنَّه دحضه بالإنكار، فالفرَّاءُ –في هذا الجزء المقتضب من الخبر- أوردَ صوتين مختلفين هما صوتا سيبويه والكسائيِّ، وكلُّ واحدٍ منهما يحاول دحضَ رأي الآخر بالطريقة نفسها، ليظهرَ نفسَه بمظهر الرَّاوي المحايد، ويبدو أنَّ الرَّاوي النَّاظم قد ارتضى لنفسه أن يظهرَ بمظهر المحايد –في هذا الجزء من الخبر- ولذلك ثبَّت قوليهما فيما نقله عن الرَّاوي الرَّئيس من خبر.

ومن الموارد اللغويَّة التَّقييميَّة الأخرى في هذا الخبر ما يعرف بالتَّأكيد بالاتفاق، وهو تأكيد –كما علمنا سابقًا- يتضمن بعض الألفاظ التي تبيِّن أن منشئ النَّصِّ يتفق أو لديه المعرفة نفسها مع بعض الشركاء الحواريين المتوقعين[111]، ومثاله قول التَّنوخي ردًّا على تخطئة الفرَّاء لتقدير سيبويه ثلاثًا، قال بعد أن بيَّن أنَّه لم يذكر تقدير سيبويه ليعلم أخطأ هو أم صواب:

((**وهذا لا أعْلَمُ فيه اختلافًا بين البصريين، وليس أحدٌ ممَّن يَعْرِفُ هذا العلمَ دون معرفة سيبويه يقصر عن الجواب عن ما ذكره الفرَّاءُ**))[112].

فقول التَّنوخي: (**وليس أحدٌ ممَّن يَعْرِفُ هذا العلمَ دون معرفة سيبويه يقصر عن الجواب عن ما ذكره الفرَّاءُ**) هو تأكيد بالاتفاق الغرض منه تضييق مساحة الحوار، فهو يؤكد أنَّه يتفق مع عدد كبير من النَّحويين الذين عبَّر عنهم بقوله: (ممَّن يعرف هذا العلم)، والذين يعرفون هذا العلم هم النَّحويون، وهم كُثْرٌ، إذ يجعل من الاتفاق مع غيره وسيلة لقمع الأصوات الأخرى المحتملة، ومن ثَمَّ توجيه المتلقي نحو وجهة نظره هو.

ثم إنَّ الرَّاوي النَّاظم قد يلجأ إلى فكرة التَّدرُّج فيما يقوله من موارد تقييميَّة، وفيه يتمُّ تعديل درجة التَّقييم سواء أكانت للموقف أم للمشاركة، وسواء أكانت إيجابيَّةً أم سلبيَّةً[113]، ومن أمثلة ذلك في هذه الرِّواية ما يطالعنا من قول الزَّجَّاجيِّ الذي نقله عنه الرَّضي الأستراباذي، يقول الرَّضي:

((**قال الزَّجَّاجيُّ مشنِّعًا على الكوفيين: فـ(إذا)، عندهم، كالنَّعامةِ، قيل لها: احملي، فقالت: أنا طائرٌ، وقيل لها: طيري، قالت: أنا جَمَلٌ**))[114].

ففكرةُ التَّدرُّج في هذا الجزء من الخبر تكمن في أنَّ تشبيه الزَّجَّاجيِّ لـ (إذا) عند الكوفيين بالنَّعامة في التحول وعدم الاستقرار هو أعلى درجة من الحكم المباشر الذي يمكن أن يطلقه الزَّجَّاجيُّ على رأيهم، حتَّى دعت هذه المبالغة في الحكم الرَّضيَّ إلى وصف قول الزَّجَّاجيِّ بالتَّشنيع.

وممَّا يسجل على هذه الرِّواية أنَّها- فضلًا عن التَّصريح بانتصار سيبويه، أو تبرير رأيه أو الدفاع عنه، أو الرد على خصومه- حاولت إظهار الكسائيِّ بصورة المتآمِر، وسيبويه بصورة المتآمَر عليه، فالمبادِر بالمناظرة هو الكسائيُّ لا سيبويه، وقد استعان بجعفر والفضل ابني يحيى البرمكيِّ ليحافظ على مكانته، قال الكسائيُّ مخاطبهما:

((**أنا وليكما وصاحبُكما، وهذا الرَّجل - أي سيبويه-**

إنَّما قَدِمَ ليُذهب محليَّ))[115].

فما كان منهما إلَّا أن لبيا رغبته، وحددا الزَّمان والمكان لهذا اللقاء، ثم إنَّ سيبويه – بحسب هذه الرِّواية جاء وحدَه، أمَّا الكسائيُّ فمعه أصحابه، يقول الزَّبيديُّ:

((**وحضرَ سيبويه وحدَه، وحضر الكسائيُّ ومعه الفَّراء والأحمر وغيرهما من أصحابه**))[116].

وفي هذه محاولة من الرَّاوي النَّاظم لتوجيه القارئ نحو التَّعاطف مع سيبويه، فسيبويه غريب (وحدَه)، أمَّا الكسائيُّ فمعه أصحابه، وهم مجموعة ولكي لا يتبادر إلى الذهن أنَّ لفظة (وغيرهما) تعود إلى أناس ليسوا من أصحابه أردفها بقوله: (من أصحابه).

ثم قال بعد أن أجاب سيبويه عن سؤال الكسائي:

((**فأقبل عليه الجميع**))[117].

فالخبر –إذن- صيغ بطريقة تجعل الكسائيَّ يظهر بصورة المخطط والمتَّفِق والمتآمِر، فهو المبادِرُ الذي راعه ورود سيبويه إلى بغداد، وهو الذي حضر ومعه أصحابه ليعلو صوته –بإضافة أصوات أصحابه إليه- على صوت سيبويه.

ثُمَّ إنَّ الحَكَمَ في هذه المناظرة، هو:

((**أبو الجرَّاح ومن وجد معه ممَّن كان يأخذ منه الكسائيُّ وأصحابُه**))[118].

فقوله: (**ممَّن كان يأخذ منه الكسائيُّ وأصحابُه**) يمثِّلُ موردًا لغويًّا تقييميًّا مهمًّا يوجِّه قارئ الخبر أو سامعه نحو الشكِّ بخبر انتصار الكسائيِّ، إذ إنَّ (**أبا الجرَّاح ومن معه**) ممَّن أسند إليهم الحكم في هذه المناظرة هم ممَّن تربطهم بالكسائيِّ علاقة أخذ اللغة والنَّحو منهم، لذا فإسناد هذا القول إلى الرَّاوي الرئيس (الفرَّاء) أمرٌ فيه نظر، وهذا ممَّا يرجِّح أن يكون الرَّاوي النَّاظم أو الرَّاوي الوسيط هو من تدخل في مضمون الخبر بإضافة هذا الجزء إليه.

فضلًا عن ذلك فإن راوي الخبر أو ناظمه حاول أن يقنع متلقيه بصحة رأي سيبويه عبر تضمينه للنَّصِّ القرآنيِّ في ردِّه على كلمات خصمه الكسائيِّ، يقول ابن هشام:

((**وأمَّا سؤالُ الكسائيِّ فجوابه ما قاله سيبويه، وهو (فإذا هو هي) هذا هو وجهُ الكلام، مثل: (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ)[119]، (فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ)[120]، وأمَّا (فإذا هو إيَّاها) إن ثبت فخارجٌ عن القياس واستعمال الفصحاء، كالجزم بـ (لن)، والنَّصب بـ (لم)، والجرِّ بـ (لعلَّ)، وسيبويه وأصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك، وإن تكلمَ بعضُ العربِ به**))[121].

فالرَّاوي النَّاظم –على هذا- يحاول أن يدخلَ النَّصَّ القرآنيَّ في ردِّه ليؤدِّي وظيفتين رئيستين:

1. صحة الرَّأي عبر الإفادة من سلطة النَّصِّ القرآنيِّ.

2. كسب تعاطف المتلقي ودعمه أو تأييده عبر الإفادة ممَّا ينتجه النَّصُّ القرآنيُّ من تعاطفٍ دينيٍّ.

الرِّواية الثَّانية: خبر الانتصار للكسائيِّ

لا تختلف هذه الرِّواية عن الرِّواية السابقة لا في الموقف، ولا في المشاركة، ولا في التَّدرُّج إلَّا في مواضع قليلة سنحاول التَّفصيل فيها، أمَّا المواضع المشتركة فسنجمل فيها القول اعتمادًا على ما فصلنا فيه في الرِّواية الأولى.

الرَّاوي النَّاظم في هذه الرِّواية هو الخطيبُ البغداديُّ وحدَه، والرَّاوي الرئيس هو الفرَّاءُ أيضًا، ولا يخفى علينا –بعد ما تقدم- موقف الفرَّاء المعلن والصَّريح من هذه المناظرة، وعلى الرغم من أنَّ الرَّاوي الرئيس (المشاهد والمشارك) واحدٌ بين الرِّوايتين وهو الفرَّاءُ إلا أنهما صيغتا بطريقة مختلفة، فالذي دعا إلى المناظرة في الرِّواية الأولى هو الوزير يحيى البرمكيُّ –على أكثر الرِّوايات- أو الكسائيُّ، في حين جاء في هذا الخبر أنَّ سيبويه قال ليحيى البرمكيِّ:

((**اجمع بيني وبين الكسائي لأناظره، وأنت تسمع**))[122].

فالصورة التي أراد أن يظهرها لسيبويه هي صورةٌ سلبيَّةٌ فهو المبادِر بطلب المناظرة، أمَّا الكسائيُّ فهو العالمُ الذي لا يمتنع عن مناظرة مَن يطلب:

((**فقال له يحيى: الكسائيُّ عندنا رجلٌ عالمٌ لا يمتنع من مناظرة أحد**))[123].

فللكسائي –إذن- مكانةٌ كبيرةٌ، فهو مؤدِّبُ ولدِ هارون الرشيد، وأحدُ قرَّاء القرآن، ويَعْرِفُ هذه المكانةَ الخليفةُ والوزيرُ والأميرُ مثلما يعرفُها العالمُ والجاهلُ على حدٍّ سواء، فهذا يونس يغضب لما حاصر مروان بن سعيد الكسائيَّ في مسألة، فقال يونس: ((تؤذون جليسنَا، ومؤدِّبَ ولد أمير المؤمنين))[124].

ثمَّ إنَّ الرَّاوي لم يكتفِ بتصوير الكسائيِّ بأنَّه لم يتدخل في المناظرة، بل صوره بأنَّه لم يتدخل في موعدها، فسيبويه هو من طلب المناظرة، ويحيى من حدد موعدها.

نحاول في هذه الرِّواية أيضًا أن نبيِّن الموارد اللغويَّة التَّقييميَّة التي ذكرها الرَّاوي النَّاظم أو ارتضاها فيما نقله عن الرَّاوي الرَّئيس، والتي لم يذكرها أو لم يرتضها، ومدى تأثير ذلك كلِّه في بناء الصُّورة الكلية لموقفه، وسنبدأ بالموارد اللغويَّة التَّقييميَّة التَّأثُّريَّة في هذا الخبر، وهما موردان لغويَّان فقط تمثَّل الأوَّل منهما في لفظة: (**غضب**) التي تعودُ إلى سيبويه[125]، وتمثَّل الثاني في لفظة: (**أطرق**) التي تعود إلى سيبويه أيضًا بعد أن كثر ترجيح النَّصب في قول العرب الذين جاءوا للحكم بينهما[126]، وغابت ألفاظٌ لغويَّةٌ تقييميَّةٌ تأثُّريَّةٌ أخرى وردت في الرِّوايةِ الأولى كـ (**استكان**)، و(**كمد**)، و(**وجم**)، و(**حصر**)، و(**غمَّ**)، ولعلَّ السبب الذي دفع الرَّاوي النَّاظم إلى استبعاد هذه الموارد اللغويَّة التَّقييميَّة من خبره أنَّها –كما علمنا سابقًا- تثير تعاطف المتلقي مع سيبويه نتيجة لتصرفات خصومه معه، وهذا ما لا يرتضيه الرَّاوي النَّاظم في خبره، لذلك حاول –في حدود استطاعته- أن يقلل من تلك التَّصرفات التي مثلت أحكامًا استهجانية اجتماعية وأثرت في تعاطف المتلقي مع سيبويه، فالأحمر في الرِّواية الأولى خطَّأ سيبويه ثلاث مرات، في حين خطَّأه في هذه الرِّواية مرتين، يقول:

((**فسبق الفرَّاءُ والأحمرُ في ذلك اليوم إلى دار يحيى، فجلسا في الموضع الذي أعد للكسائيِّ وسيبويه، ثم جاء سيبويه فرفعاه، وألقى عليه الأحمر مسألة فأجاب فيها، فقال له الأحمر: أخطأت، وألقى**

عليه أخرى فأجاب، فقال له: أخطأت))[127].

وخطَّأه الفرَّاءُ في الرِّواية الأولى ثلاث مرات، أمَّا في هذه الرِّواية فقد خطَّأه مرتين، يقول:

((**فمن قال: هؤلاء أبون، ورأيت أبين، ومررت بأبين في جمع الأب... كيف تمثِّل مثاله من أويت؟ فأجاب سيبويه بجوابٍ، فعارضه الفرَّاءُ بإدخال فيه، فانتقل منه إلى جوابٍ آخر، فعارضه بحجةٍ أخرى، فغضب، وقال: لا أكلمكما حتى يجيء صاحبكما**))[128].

ثم إنَّ الخطيب البغدادي لم يكتفِ –من أجل التَّأثير في متلقيه- بتقليل أحكام استهجان سيبويه، بل راح في المقابل- يكثر من أحكام استحسان خصومه، قال الرَّاوي - على لسان الوزير يحيى البرمكيِّ- مستحسنًا الكسائيَّ:

((**الكسائيُّ عندنا رجلٌ عالمٌ لا يمتنع من مناظرة أحد**))[129].

وفي وصف الفرَّاءِ -بحسب ما جاء في هذه الرِّواية- للأحمر:

((**وكان الأحمرُ حادًّا حافظًا**))[130].

وهذا الحكم لم يرد في الرِّواية الأولى ويبدو أنَّه إمَّا من إضافة الرَّاوي النَّاظم له في هذه الرِّواية، أو أنَّه ممَّا حذف من الرِّواية الأولى.

وقول الكسائيِّ عن العرب في توجيه منه لمن يحكم بينهما:

((**فقال الكسائيُّ: العرب الفصحاء**))[131].

فتقليلُ الرَّاوي النَّاظم لأحكام الاستهجان الاجتماعي التي قيلت في حقِّ سيبويه أو قبوله لها، والإكثار من أحكام الاستحسان الاجتماعي التي قيلت في حقِّ خصوم سيبويه فيما اختاره من رواية الغرض منه:

أولًا تقليل التَّعاطف مع سيبويه.

ثانيًا: قبول دفاعه عن رأي الكسائيِّ، وردِّه على من اتهمه بالتآمر، يقول:

((**فقال بعض الجهَّال: إنَّ الكسائيَّ واطأ الأعرابَ من الليل حتى تكلموا بالذي أراده، وهذا قول لا يعرج عليه، لأنَّ مثل هذا لا يخفى على الخليفة والوزير وأهل بغداد أجمعين**))[132].

هذه بعض الموارد اللغويَّة التَّقييميَّة الخاصَّة بالموقف، أمَّا الموارد اللغويَّة الخاصَّة بالمشاركة فمن أمثلتها مورد الدَّحض بالإنكار، إذ يتمثَّل في قول يحيى البرمكيِّ واصفًا الكسائيَّ وسيبويه:

((**ليس فوقكما أحدٌ يُستفتى**))[133].

وقوله في حقِّهما أيضًا:

((**ولم يبلغ من هذا العلمِ مبلغكما أحدٌ**))[134].

ويتمثَّل أيضًا في قول الخطيب البغداديِّ رادًّا على من اتهم الكسائيَّ بالتواطؤ والاتفاق مع الأعرابِ، قال:

((**لأنَّ مثل هذا لا يخفى على الخليفةِ والوزير وأهل بغداد أجمعين**))[135].

فالقول الأوَّلُ يستدعي: (أنَّه فوق الكسائيِّ وسيبويه أحدٌ يُستفتى)، والقول الثَّاني يستدعي: (أنَّه بلغ من علم النَّحو مبلغ الكسائيِّ وسيبويه أحدٌ)، والقول الثَّالث يستدعي: (أنَّ التَّكلُّم بما أراده الكسائيُّ يخفى على الخليفة والوزير وأهل بغداد أجمعين)، وهو –بهذا- يريد أنْ ينكرَ هذه الأقوال الموجبة المستدعاة لغاية يقصدها قصدًا تتمثَّلُ هذه الغاية -في القولين الأوَّل والثَّاني- في إظهار الطرفين المتخاصمين في مكانة علمية كبيرة تمهيدًا لما يستدعيه القول الثَّالث من تقليلٍ للأصوات أو البدائل الحوارية في النَّصِّ، ومن ثمَّ توجيه قارئ النَّصِّ أو سامعه نحو القول بانتصار الكسائيِّ على ضيفه سيبويه.

أمَّا التَّدرُّج في هذه الرِّواية فيتضح في وصف الرَّاوي الرئيس للعرب التي حضرت للحكم بين الكسائيِّ وسيبويه:

((**حتَّى حضرَ منهم خلقٌ كثيرٌ**))[136].

فقول الرَّاوي (**خلقٌ كثيرٌ**) يدخل فيما يسمى –بحسب نظريَّة التَّقييم- بالتَّحديد الكمي، وهو يختص بالمقاييس غير الدقيقة[137] التي تنتمي إلى تدرُّج القوة (force)[138]، فمقياس العدد غير دقيق، لذا فوصف الخلق بالكثرة أمرٌ نسبيٌّ لا يمكن تحديده.

فالرَّاوي –على هذا- قد صاغ خبره بطريقة تبعد تهمة اتفاق الكسائيِّ مع العرب، فهم خلقٌ كثيرٌ ويستحيل الاتفاق أو التَّواطؤ معهم، ثُمَّ يمكننا أن نعدَّ قول الرَّاوي:

((**فلم يكن إلَّا ساعة**))[139].

تأكيدًا لما سبق من دفع التهمة عن الكسائيِّ، فالإشارة إلى وقت الإحضار بأنه استغرق ساعة ليس عنصرًا رئيسًا في تشكُّل الخبر، وإنَّما جيء به ليدافع عن موقفه المساند للكسائيِّ على العكس من الرِّواية الأولى التي صيغ خبرها:

((**فقال الكسائيُّ:**
هذه العربُ
ببابك...،
فيحضرون
ويسألون...،
فدخلوا وفيهم:
أبو فقعسٍ،
وأبو زيادٍ،
وأبو الجرَّاحِ،
وأبو ثروان،
فسئلوا عن
المسائل التي
جرت بين
الكسائيِّ
وسيبويه،
فتابعوا الكسائيَّ
وقالوا
بقوله))[140].

فتحديد الشخصيات التي دخلت مجلس الوزير يحيى البرمكي والتي لها صلة بالكسائيِّ إنَّما كان عن قصد من الرَّاوي للتلويح بفكرة الاتفاق معهم أو التآمر على سيبويه التي أوضحناها سابقًا، حتَّى جوَّز لابن الشَّجَريِّ أن يقول:

((**وكان للكسائيِّ بهم أنَسَةٌ**))[141].

ولابن هشام أن يقول:

((**إنَّهم إنَّما**
قالوا: القول
قول الكسائيِّ،
ولم ينطقوا
بالنَّصبِ، وإنَّ
سيبويه قال
ليحيى: مُرهم
أن ينطقوا
بذلك؛ فإنَّ
ألسنتهم لا
تطوع به))[142].

فلا غرو –إذن- أن هذه الألفاظ التي جيء بها مختلفةً عن الرِّواية الأولى، قد أثرت في الموقف العامِّ لهذه الرِّواية مثلما أثر اختلاف ألفاظ الرِّواية الأولى في موقفها العامِّ، وهو ما يدعونا –مطمئنين- إلى القول: إنَّ الرَّاوي -ولا نعني راويًا محددًا هنا- قد تدخَّل في الخبر بما يخدم موقفه هو، فغيابُ ألفاظٍ ووجود أخرى باختلاف الرَّاوي يدفعنا باتجاه هذا الاستنتاج.

الرِّواية الثَّالثة: الخبر المحايد ظاهرًا

حاول عدد من العلماءِ أن يظهر خبره بمظهر المحايد فلم يصرِّح فيه بانتصار أحد أطراف المناظرة، ولم يبرر لأحدهما أو يدافع عنه، ولم يرد على آراء خصمه أو خصومه، ولكنهم وعلى الرغم من ذلك فإن أخبارهم تضمنت موارد لغوية تقييمية، وصيغت بطريقة تكشف موقفهم من طرفي المناظرة، وأول خبر ورد إلينا على هذه الطريقة هو **خبر ابن النَّديم**، إذ صاغه بطريقة تفضح موقفه المساند للكسائيِّ، فلم يذكر الأحكام اللغويَّة التَّقييميَّة التي قيلت في حقِّ سيبويه، كـ(أخطأ ، ولحن)، وغيرهما، ولم يذكر تأثُّر سيبويه بتصرفات خصومه كـ (غضب، ووجم، وأطرق، وغيرها)، بل إنَّه صاغ قوله الذي يتضمَّن الاحتكام إلى العربِ بطريقة تبعد الكسائيَّ عن شبهة الاتفاق أو التواطؤ مع الأعرابِ، يقول ابن النَّديم:

((**وحاكماه إلى**
فصحاء
الأعراب،
وكانوا قد
وفدوا على
السلطان، وهم:
أبو فقعس،
وأبو دثار،
وأبو الجرَّاح،
وأبو
ثروان))(143).

فهذه الجملة الاعتراضية: (**وكانوا قد وفدوا على السلطان**) جاء بها الرَّاوي النَّاظم عن قصد لردِّ التهمة عن الكسائيِّ، فالوفود على السلطان يجعل أمر إسناد الحكم لهم مصادفة وليس أمرًا دُبِّر بليلٍ.

ولعلَّ قول ابن النَّديم

((**فكان الكسائيُّ على الصَّوابِ**))(144).

الذي حاكه بطريقة الإسناد إلى صوت خارجيٍّ، وهو صوت ثعلب إذ أصل هذا الخبر ما قرأه بخط أبي العبَّاس ثعلب، واستعماله لفظة إيجابية كـ (الصّواب) التي وصف فيها رأي الكسائيِّ إنَّما الغاية منه أن يجعلَ القُرَّاءَ/ المستمعين يميلون إليه ويتعاطفون معه أو مع موقفه الذي يبدو في هذه الأثناء هو المنتصِر، أو على أقل تقدير يبدو أنَّه يقف مع الكفَّةِ الرَّاجحةِ، فكلُّ خبرٍ فضلًا عن أنَّه ينقل هُويَّة كاتبه/ محدثه فإنَّه يحاول –وإن اختلفت المحاولة من خبرٍ إلى خبرٍ ومن كاتبٍ إلى كاتب- أن يؤثرَ في مشاعر المتلقين وأحوالهم أو مواقفهم تجاه الموضوع المُتحدَّث عنه، وهذا التأثير الذي ينشده منشئ الخبر يلجأ فيه إلى استعمال بعض أساليب الحكم التي تتسم بالتَّفاعليَّة أو ذكر بعض الصفات الجيدة، إذ بها يتم تمثيل المخاطَب على أنَّه مشارك مع المخاطِب في الموقف، ممَّا ينعكس إيجابًا على المخاطَب.

أمَّا خبر ياقوت الحمويِّ و خبر القفطيِّ فسنعاملهما –في التَّحليل- معاملة الخبر الواحد لتشابهما في سلسلة السَّند (الرواة)، ومضمون الخبر، وطريقة الصياغة، والتَّعليق، وأوَّل ما يطالعنا في هذا الخبر أنَّ الرَّاوي النَّاظم قد جمع بين صورتين متناقضتين: صورة الكسائيِّ، فهو:

((**شيخُ مدينةِ**
السَّلامِ
وقارئُها،
ومؤدِّبُ ولدِ
أميرِ المؤمنين،
وكلُّ مَنْ في
المِصْرِ له
ومعه))(145).

ثمَّ إنَّه حضرَ المناظرةَ ومعه خلقٌ كثيرٌ من أصحابه: (الفرَّاء، والأحمر، وهشام بن معاوية، ومحمد بن سَعْدَان)، ومن غير أصحابه(146)، في حين جاءت صورة سيبويه التي رسمها له النَّاظم على النقيض من ذلك، فقد:

((**غدا وحدَه إلى دار**
الرَّشيد))(147).

ليجد أصحابَ الكسائيِّ قد سبقوه لتبدأ مناظرة يمكن أن نسميها بالمناظرةِ التَّمهيديَّةِ التي سبقت المناظرةَ الرَّئيسةَ بينهما، وفيها يذكرُ النَّاظمُ أنَّ الأحمرَ سأل سيبويه:

((**عن مائة**
مسألة، فأجابه
عنها، فما
أجابه بجوابٍ

إلا قال: أخطأت يـــــــــا بصري))[148].

وفي هذا الجزء من الخبر مبالغةٌ من جانبين، مبالغة في عدد المسائل التي سأل فيها الأحمرُ سيبويه التي وصلت إلى الـ (مائة مسألة)، ومبالغة من صبر سيبويه على الأحمر وتحمله لتخطئته إيَّاه.

فالرَّاوي النَّاظم أراد –من خلال ذكره لهاتين الصَّورتين المتناقضتين وما تخللهما من موارد لغوية تقييمية- أن يوصلَ رسالةً –وإن لم تكن مباشرةً- إلى متلقيه مفادها: إنَّ الجوَّ العامَّ لهذه المناظرة لم يكن صافيًا، ثم زاد ذلك بذكره لأسماء الأعراب الذين جاءوا للحكم بينهما، وهم: أبو فَقْعَسٍ، وأبو دِثَارٍ، وأبو ثَرْوَان[149]، في تلويح منه إلى وجود مؤامرة أو اتفاق بينهما.

وفي المشاركة يطالعنا مورد الإسناد بالإقرار، فقد أسند الرَّاوي النَّاظم تبرير رأي سيبويه إلى صوتٍ خارجيٍّ عبر لفظة (قال) في موضعين، الأوَّل تمثَّل في قوله:

((**قال أبو الحسين علي بن سليمانَ الأخفشُ: وأصحابُ سيبويه إلى هذه الغايةِ لا اختلافَ بينهم أنَّ الجوابَ كما قال سيبويه، وهو فإذا هي، أي فإذا هو مثلُها**))[150].

والثاني تمثَّل في قوله:

((**وقد قالَ أصحابُ سيبويه: الأعرابُ الذين شَهِدُوا للكسائيِّ من أعرابِ الحطميَّةِ الذين كان الكسائيُّ يقومُ بهم ويأخذُ عنهم**))[151].

فهذان الرَّأيان –من وجهة نظر الرَّاوي النَّاظم- مسندانِ إلى صوتٍ خارجيٍّ، وكلُّ واحدٍ منهما يمثِّل رأيًا في ضمن مجموعة آراءٍ محتملة، والرَّاوي النَّاظم بطرحه لهذا الرَّأي يكون قد أسند بالإقرار -بحسب مصطلحات نظرية التقييم- هذا الرأي إلى أبي الحسين علي بن سليمان الأخفش في القول الأوَّل، وإلى أصحاب سيبويه في القول الثَّاني.

أمَّا **خبر اليغموري** فيمكن تصنيفه في ضمن الأخبار التي تنتصر لسيبويه، فقد صاغه بالطريقة التي صيغت بها الأخبار التي تنتصر لسيبويه نفسِها، فالكسائيَّ هو من اقترح على الوزير يحيى البرمكيِّ أن تكون العربُ الحكمَ بينهما فيما اختلافا فيه، وهو مَنْ أصدر أحكام الاستحسان الاجتماعي في حقِّ العرب، فـ (**هم فصحاءُ النَّاس**)، وهم الذين (**قَنِعَ بهم أهلُ المِصْرين**)، ثمَّ إنَّ تحديد الرَّاوي النَّاظم، وذكره لبعض الأسماء التي عرفتْ بصلتها بالكسائيِّ فيه –كما علمنا سابقًا- إشارةٌ إلى أنَّ نتيجة حكمهم بصحة رأي الكسائيِّ لم تكن صحيحة، وأنَّ الغلبة أو النصرة -على هذا- يجب أن تكون لسيبويه، قال:

((**فقال الكسائيُّ: هذه العربُ ببابك، وقد جمعتهم من كلِّ أوبٍ، ووفدت عليك من كلِّ صُقْعٍ، وهم فصحاءُ النَّاسِ، وقد قنع بهم أهلُ المصرين، فأمر بإحضارهم، وفيهم: أبو فَقْعَسٍ، وأبو دِثارٍ، وأبو الجرَّاح، وأبو ثَرْوان**))[152].

وقد يتشابه -للوهلة الأولى- قول ابن خلَّكان:

((وزَعَمَ الكسائيُّ أنَّ العربَ تقول: كنتُ أظنُّ أنَّ الزُّنبورَ أشدُّ لسعًا من النَّحلةِ فإذا هو إيَّاها))[153].

مع أقوال غيره من العلماء السابقين فكأنَّ هذه الأقوال تقول الشيء نفسَه، ولكن بنظرة تأمل جيدة للصياغة التي قيل فيها الخبر سيتضح الاختلاف البيِّن بين هذه الأخبار، وسيبدو لنا جيدًا أن استعمال ابن خلَّكان للمورد اللغويَّ التقييميَّ (**زَعَمَ**) الذي من معانيه: (القول)، و(الظن)، و(الاعتقاد)، و(القول الذي يخلو من الدليل)[154]، ولعلَّ المعنى الأخير، أو معنى الظَّن أو المعنى السلبي عمومًا هو المعنى الذي ينسجم مع موقف الرَّاوي النَّاظم الذي يساند سيبويه وينتصر له.

وممَّا يؤكد ما ذهبنا إليه ما رافق هذا المورد التَّقييميَّ من قولٍ يبيِّن موقفه من هذه المناظرة، يقول:

((وكان الأمينُ شديدَ العنايةِ بالكسائيِّ لكونه معلمةً، فاستدعى عربيًّا وسأله فقال كما قال سيبويه، فقال له: نريد أن تقولَ كما قال الكسائي، فقال: إنَّ لساني لا يطاوعني على ذلك فإنَّه ما يسبق إلَّا إلى الصَّواب، فقرروا معه أنَّ شخصًا يقول: قال سيبويه كذا وقال الكسائيُّ كذا، فالصَّواب مع مَن منهما؟ فيقول العربيُّ: مع الكسائيِّ، فقال: هذا يمكن))[155].

فموقف ابن خلِّكان الذي ينتصر فيه لسيبويه واضحٌ وإن لم يصرِّح به، فالأمينُ – بحسب قوله- معلمُ الكسائيِّ، وقد اتفق مع العربيِّ ليقول بصحة رأي الكسائيِّ وخطأ رأي سيبويه، فموقف الرَّاوي النَّاظم-إذن- هو الذي رجَّح المعنى السلبيَّ للمورد اللغويِّ (زعم) واستبعد المعنى الإيجابيَّ.

الخاتمة:

يحملُ كلُّ خبرٍ من هذه الأخبار، فضلًا عن القيمة الإخباريَّة، وجهةَ نظر ناقله أو راويه كما يبيِّنُ موقفَه من المناظرة، ورغبته الجَّادة في إثارة شغف المستمع/ القارئ عبر موارد لغوية معينة تظهر مواقفه الأيديولوجية، وتدعو، في الوقت نفسه، إلى تبنيها، وهذا ما لاحظناه في كلِّ خبر من هذه الأخبار، إذ يصرِّح بذلك الموقف أو يشير إليه، فضلًا عمَّا لاحظناه من نتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. بينتِ الدراسةُ أنَّ الرَّاوي -في هذا الخبر- راوٍ حقيقيٌّ، ومن ثَمَّ فإنَّ له موارده التَّقييميَّة التي تكشف عن موقفه من هذه المناظرة، لذا لم يأت خبر هذه المناظرة على وتيرة واحدة، فلم يتفق لا على مستوى الزمان، ولا على مستوى المكان، ولا حتى على مستوى النَّتيجة.
2. أوضحتِ الدراسةُ الطرائق التي لجأ إليها الرَّاوي لتمرير العبارات والجمل التَّقييميَّة التي يثبتها في خبره أو التي يذكرها في تعليقه على

الرِّواية، أو حتى التي يحذفها من أصل الخبر كاختيار الرَّاوي النَّاظم لرواية الفرَّاء وتركه لرواية الأخفش أو العكس، أو كحذفه لأجزاء من الخبر، فقد صيغت هذه الأخبار بطريقة تخدم موقفه العامَّ، و وتدعو للتأثير في المتلقي أو -على أقل تقدير- لتشجيعه على الوثوق بآراء الرَّاوي النَّاظم وتبنيها، وهذا ما وجدناه من حذف إجابات سيبويه للفراء والأحمر ليظهر الخبر على شكل مؤامرة دبرت بليل للإطاحة بسيبويه.

3. كشفتِ الدراسةُ عن هيمنة الأحكام مقارنة بالتَّأثُّرِ نتيجةً لطبيعة الخبرِ القائم على الخلاف والخصومةِ بين المتناظرين في الآراء النَّحوية، فضلًا عن أنَّها بينت غياب التقدير في نقل موقف راوي الخبر للسبب نفسِه.
4. أظهرتِ الدراسةُ أنَّ الموارِدَ اللغويَّةَ الخاصة بالأحكام -سواء أكانت إيجابيَّة أم سلبيَّة- التي لا يرتضيها الرَّاوي النَّاظم، أو التي لا تتلاءم مع موقفه الأيديولوجي فإنَّه يحذفها من أصل خبره أو يرد عليها، في حين يثبت الأحكام التي يرتضيها ولا يعلق عليها، وهذا ما لاحظناه من ردِّ الرَّاوي النَّاظم –في الرِّواية الأولى التي تنتصر لسيبويه- على الحكم السلبيِّ الذي قيل في حقِّ سيبويه، وسكوته عن التَّعليق على الحكم السلبيِّ في الذي قيل في حقِّ الأحمر.
5. لاحظتِ الدراسةُ أنَّه لا يمكن فصل الموارد اللغويَّة التَّقييميَّة عن السِّياق الذي ترد فيه، إذ إنَّ المورِدَ اللغويَّ التَّقييميَّ الواحدَ قد يستعمل لبيان موقفين متضادين مثلما لاحظنا في بعض الموارد التي اتحدت في الصيغة واختلفت فيما تدلل عليه من مواقف.

المصادر والمراجع:

1) ذكر هاليدي ثلاث وظائف للغة: **الوظيفة الفكرية**، وتتعلق بنقل الخبرة بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، **والوظيفة الشخصية** المعنية بالتفاوض على العلاقات أو كيف يتفاعل الناس فيما بينهم، **والوظيفة النصية** المسؤولة عن إظهار النص بشكل متماسك، وقد أفادت نظرية التقييم من الوظيفة الشخصية تحديدًا، ينظر:
The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 7.

2) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 40.

3) Appraisal, peter R.R. White, in J. Zienkowski, J.O. Ostman, J. Verschueren, The Handbook of pragmatics, volume 8, Discursive pragmatics, p: 14.

4) The Interpersonal metafunction analysis of Barack Obama' victory speech, Ruijuan Ye, English language teaching, vol.3, June 2010, p: 147.

[5]) A critical discourse analysis of Barack Obama' speeches, Junling Wang, journal of language teaching and research, Vol.1, No.3, May 2010, p: 255.

6) Appraisal, peter R.R. White, in J. Zienkowski, J.O. Ostman, J. Verschueren, The Handbook of pragmatics, volume 8, Discursive pragmatics, p. p: 14-15.

7) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: xi.

8) تجدر الإشارة هنا إلى أن مصطلحي: (Evaluation)، و(Appraisal) –في الدراسات اللغوية السابقة لاستقرار النظرية– مترادفان، فقد يطلق أحدهما ويراد به الآخر، أما في الدراسات اللغوية اليوم، فقد تحددت دلالة مصطلح: (Evaluation) بوصف اللغة، أما مصطلح: (Appraisal) فيعني الإطار التحليلي أو النظرية اللغوية لتحليل تلك اللغة، وهذا ما دفع جيم مارتن وبيتر وايت إلى وضع المصطلحين في عنوان كتابهما المشترك الصادر سنة (2005م):

(The Language of Evaluation Appraisal in English)

والبحث يتبنى وجهة النظر الأحدث، لذا فأينما وجدت لفظة تقييم وتكون وصفًا للغة فإنها تقابل مصطلح: (Evaluation)، أمَّا إن ورد التقييم إطارًا تحليلًا أو نظرية خاصة فهو المقابل لمصطلح: (Appraisal).

9) ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينيك منغنو: 236.

10) Stance in political Discourse: Arabic Translations of American Newspaper Opinion Articles on the (Arab Spring): 71.
11) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 95.
12) Ibid, p. p: 34-35.
13) Beyond Exchange: Appraisal Systems in English, J. R. Martin, p: 145.
14) Appraisal, peter R.R. White, in J. Zienkowski, J.O. Ostman, J. Verschueren, The Handbook of pragmatics, volume 8, Discursive pragmatics, p: 14.
15) Annotating expressions of appraisal in English, Jonathon Read and John Carroll, springer, december, 2010, p: 423.
16) A systemic functional exploration of translation: An appraisal corpus - linguistic approach: 97.
17) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 35.
18) A systemic functional exploration of translation: An appraisal corpus - linguistic approach: 100.
19) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 35.
20) Ibid, p: 42.
21) Ibid, p: 42.
22) Ibid, p: 49.
23) Ibid, p: 42.
24) Ibid, p: 35-36.
25) Ibid, p: 52.
26) Ibid, p: 43.
27) Ibid, p: 56.

28) يجب الإشارة هنا إلى أمرين:

أولًا: إن التعبير عن المواقف: (التَّأثُّر، والحكم، والتقدير) قد يحصل حتى مع غياب الألفاظ الدالة على الموقف صراحةً، فقد يستدعي الخبر موقفًا ما، وإن لم يصرَّح بلفظ ذلك الموقف، ينظر:

The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 62.

ثانيًا: إنَّ بعض الألفاظ المعجمية التي تعطي دلالات تقييمية إيجابية قد تتغير فتعطي دلالات تقييمية سلبية نتيجة لتغير السياق الذي ترد فيه، ينظر:

The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 52.

29) A systemic functional exploration of translation: An appraisal corpus - linguistic approach, p: 102.
30) Supporting new arrival students' engagement with picture books: analysis of teacher talk using the appraisal theory, Celine PY Chu, Functional Linguistics 2014, p: 4.
31) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 99.
32) Stance in political Discourse: Arabic Translations of American Newspaper Opinion Articles on the (Arab Spring): 155.
33) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 115.
34) Ibid, p: 102.
35) Ibid, p: 98.
36) Ibid, p: 98.
37) Stance in political Discourse: Arabic Translations of American Newspaper Opinion Articles on the (Arab Spring): 157.
38) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 117-118.
39) Ibid, p: 118.
40) Ibid, p: 120.
41) Stance in political Discourse: Arabic Translations of American Newspaper Opinion Articles on the (Arab Spring): 157.
42) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 122.
43) Ibid, p: 127.
44) Ibid, p: 128.
45) Ibid, p: 126.
46) Ibid, p: 126-127.
47) Annotating Appraisal in English and Spanish product reviews from mobile application stores: a contrastive study for linguistic and computational purposes, Natalia Mora López, (2018),p ,: 21.
48) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 136.
49) Ibid, p: 140.
50) Ibid, p: 141.
51) Ibid, p: 37.

52) تعليق د. عادل عبد الجبار التدريسي في كلية الآداب – جامعة البصرة على نص خبر الزَّجَّاجيِّ بتاريخ: 3/ 8/ 2022.

53) ليس من أهداف البحث المفاضلة بين هذه الأخبار، على اختلاف مضمونها، أو التحقق من صحتها بقدر ما يتعلق الأمر بكشف المواضع التقييمية لناقل الخبر، وبيان تدخله فيها، مع محاولة لإيضاح أسباب ذلك التدخل.

54) أجمعت كتب التراجم والأخبار على أنَّ المبادِر بالمناظرة هو الكسائي، وأن النتيجة آلت إليه إلا في خبر أورده الخطابي يثبت فيه أن سيبويه هو من سأل الكسائي، وأنَّه هو المنتصر في هذه المناظرة لا الكسائي، ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (الخطابي): 34.

55) ينظر: الفهرست: 51/1، ومعجم الأدباء: 16/ 118.

56) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: 3/ 464.

57) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (الخطابي): 34.

58) ينظر: مجالس العلماء: 9، وطبقات النحويين واللغويين: 68، وتاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: 101، وتاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463: 12/ 104.

59) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: 1/ 252.

60) أجمعت الروايات كلُّها على أن الغلبة في هذه المناظرة كانت لسيبويه إلا في خبر واحد نقله الخطابي عن عبد الله بن أسباط عن شيوخه من أن الأعراب صوبوا قول سيبويه.

61) يجب التنبيه –هنا– إلى أننا لا نعني بالخبر المحايد أنَّه غيرُ متحيزٍ لرأي ما أو أنَّه لا يدافع عنه أو يتبناه، فقد يشملُ الخبرُ المحايدُ موارد تقييمية تبين موقفه من المسألة، ومن ثمَّ يمكن تصنيفه في ضمن الأخبار التي تنتصر لسيبويه أو التي تنتصر للكسائي، ولكن إطلاقنا للفظة محايد تعني أنَّه لم يصرِّح بصحة رأي أحدهما، أو يبرر لصحته أو يرد عليه، وهي المعايير الثلاثة التي ارتضاها البحث للتمييز بين موقف راوي الخبر.

62) أورد الزَّبيديُّ ثلاث روايات برَّر –في الرِّواية الأولى– صحة رأي سيبويه ، وجاءت الرِّوايتان الثَّانية والثَّالثة غفلًا من التبرير اكتفاء بما ذكره في الرِّواية الأولى.

63) لم يبين ابن الأنباري –في كتابه نزهة الألباء– موقفه من هذه المناظرة اكتفاءً بشهرتها، ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: 64، وممَّا تجد الإشارة إليه أن موقف العالم يؤخذ من كتبه مجتمعة لا منفردة؛ لأنَّه قد يضطر إلى الاقتضاب في كتاب والتوسع في آخر كما حصل مع ابن الأنباري في كتابيه هذين، وكما حصل مع السيوطي في كتابيه: (بغية الوعاة)، و(الأشباه والنظائر) على ما سنلاحظه بعد هذا.

64) لم يبين السِّيوطي –في كتابه الأشباه والنظائر– موقفه من المناظرة.

65) أورد ابن العماد الحنبليِّ ثلاث روايات صرَّح –في الرِّواية الأولى– بصحة رأي سيبويه، وبرَّر –في الرِّواية الثالثة– صحة رأي سيبويه، في حين جاءت الرِّواية الثَّانية غفلًا من التَّصريح والتبرير.

66) هو علي بن سليمان الأخفش الأصغر، وهو من شيوخه (ت 315هـ)، ينظر:

67) مجالس العلماء: 9، أمَّا الزَّبيديُّ فقد بيَّن في سلسلة السَّند أنَّ الخبر –في الرِّواية الأولى– نقله عن أبي جعفر النَّحاس عن ثعلب والمبرِّد، وفي الرِّواية الثَّانية نقله عن أبي جعفر بن رستم الطبريِّ عن المازنيِّ عن الأخفش، ينظر: طبقات النحويين واللغويين: 68، و69.

68) ممَّن قال بكوفية ثعلب الزبيدي، إذ عدَّه في الطبقة الخامسة من النحويين الكوفيين، ينظر: طبقات النحويين واللغويين: 141.

69) ممَّن قال ببصرية المبرِّد الزبيدي، إذ عدَّه في الطبقة الثامنة من النحويين البصريين، ينظر: طبقات النحويين واللغويين: 101.

70) ممَّن قال ببصرية الزجاجي الزبيدي، إذ عدَّه في الطبقة العاشرة من النحويين البصريين، ينظر: طبقات النحويين واللغويين: 119.

71) ممَّن قال بكوفية الفرَّاء الزبيدي، إذ عدَّه في الطبقة الثالثة من النحويين الكوفيين، ينظر: طبقات النحويين واللغويين: 131.

72) ممَّن قال ببصرية الأخفش الأوسط الزبيدي، إذ عدَّه في الطبقة السادسة من النحويين البصريين، ينظر: طبقات النحويين واللغويين: 72.

73) مجالس العلماء: 10.

74) طبقات النَّحويين واللُّغويين: 68.

75) نفسه: 69.

76) نفسه: 70.

77) نفسه: 70.

78) لسان العرب، مادة (سكن): 13/ 212.

79) نفسه، مادة (كمد): 3/ 381.

80) نفسه، مادة (وجم): 12/ 630.

81) نفسه، مادة (حصر): 4/ 193.

82) نفسه، مادة (غمم): 12/ 441.

83) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 49.

84) مجالس العلماء: 9.

85) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 52.

86) مجالس العلماء، الزجاجي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: 9.

87) ينظر: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، التنوخي: 105، وسفر السعادة وسفير الإفادة، السخاوي: 2/ 537.

88) شرح الدَّماميني على مغني اللبيب: 1/ 337.

89) تاريخ بغداد: 12/ 104.

90) إنَّ ذكرنا لمقولة: (إنَّ التَّأثير يقوم مقام الحكم، والعكس صحيح أيضًا) لا يعني بالضرورة انتفاء ذكرهما معًا، وممَّن ذكر التَّأثُّر والحكم معًا ياقوت الحموي، يقول: ((فوجم سيبويه، وقال هذا سوءُ أدبٍ))، معجم الأدباء: 16/ 119، والقفطي، يقول: ((فوجم لذلك سيبويه، وقال: هذا سوءُ أدبٍ))، إنباه الرُّواة على أنباه النحاة: 2/ 358.

91) استبعدتُ لفظة (حدًّا) التي وردت في كتاب مجالس العلماء؛ لأنَّها تتعرض مع لفظة (عجلة)، وأثبتُ ما جاء في أغلب المصادر التي نقلت الخبر.

92) مجالس العلماء: 9.

93) كلُّ تعارضٍ بين المورد اللغوي التقييمي في النَّصِّ وموقف الرَّاوي، أو ناقل الخبر المعلن أو الصَّريح يدلُّ إمَّا على تدخُّل ناقل الخبر فيه، أو أن يفسر هذا المورد اللغوي التقييمي على المجاز.

94) مجالس العلماء: 9.

95) نفسه: 9.

96) نفسه: 9-10.

97) قلتُ في أغلب الرِّوايات؛ لأنَّ بعض الأخبار اكتفت بذكر حكم استهجانيٍّ واحد كما فعل ابن هشام الذي اكتفى بذكر حكم السَّماع من البلدين، والسيوطي الذي اكتفى بحكم الفصاحة، ينظر: مغني اللبيب: 1/ 94، وبغية الوعاة: 2/ 230، ولم أذكر ما حدث من تغيير في بعض الرِّوايات بتقديم لفظة على أخرى؛ لأنَّها تخلو من التقييم.

98) مجالس العلماء: 10، وينظر: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: 104.103، وأمالي ابن الشَّجري، مع ملاحظة أنَّه قدم أهل البصرة على أهل الكوفة التي ورد ذكرها في الخبرين السابقين: 1/ 349، وتابعه السخاوي في هذا التقديم: 2/ 535.

99) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 52.

100) أمالي ابن الشَّجَريِّ: 1/ 349.

101) سفر السَّعادة وسفير الإفادة: 2/ 537.

102) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: 2/ 230.

103) نفح الطَّيب عن غصن الأندلس الرَّطيب: 4/ 79.

104) نفح الطِّيب عن غصن الأندلس الرَّطيب: 4/ 81.

105) أمالي ابن الشَّجَريِّ: 1/ 350.

106) تاريخ العلماء النَّحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: 105-106.

107) الإنصاف في مسائل الخلاف: 2/ 704.

108) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 115.

109) مجالس العلماء: 9-10.

110) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 118.

111) Ibid, p: 122.

112) تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: 106.

113) Annotating Appraisal in English and Spanish product reviews from mobile application stores: a contrastive study for linguistic and computational purposes, Natalia Mora López, (2018),p ,: 21.

114) شرح الرَّضي على الكافية: 3/ 194.

115) طبقات النَّحويين واللغويين: 68.

116) ينظر: نفسه: 68.

117) نفسه: 68.

118) نفسه: 68.

119) سورة الأعراف: 108.

120) سورة طه: 20.

121) مغني اللبيب: 1/ 95-96.

122) تاريخ بغداد: 12/ 104.

123) نفسه: 12/ 104.

124) مجالس العلماء: 186.

125) ينظر: تاريخ بغداد: 12/ 104.

126) ينظر: نفسه: 12/ 105.

127) نفسه: 12/ 104.

128) نفسه: 104-105.

129) نفسه: 12/ 104.

130) نفسه: 12/ 104.

131) نفسه: 12/ 105.

132) نفسه: 12/ 105.

133) نفسه: 12/ 105.

134) نفسه: 12/ 105.

135) نفسه: 12/ 105.

136) نفسه: 12/ 105.

137) The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White, p: 141.

138) Ibid, p: 140.

139) تاريخ بغداد: 12/ 105.

140) مجالس العلماء: 10.

141) أمالي ابن الشَّجَريِّ: 1/ 350.

142) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 1/ 94.

143) الفهرست: 51/1.

144) نفسه: 1/ 51.

145) معجم الأدباء: 16/ 119، وانباه الرواة على أنباه الرواة: 2/ 358.

146) ينظر: معجم الأدباء: 16/ 119، وانباه الرواة على أنباه الرواة: 2/ 358.

147) معجم الأدباء: 16/ 119، وانباه الرواة على أنباه الرواة: 2/ 358.

148) معجم الأدباء: 16/ 119، وانباه الرواة على أنباه الرواة: 2/ 358.

149) ينظر: معجم الأدباء: 16/ 120، وانباه الرواة على أنباه الرواة: 2/ 359.

150) معجم الأدباء: 16/ 120، وانباه الرواة على أنباه النحاة: 2/ 359.

151) معجم الأدباء: 16/ 121، وانباه الرواة على أنباه النحاة: 2/ 359.

152) نور القبس: 288.

153) وفيات الأعيان: 3/ 464.

154) ينظر: لسان العرب، مادة: (زعم).

155) وفيات الأعيان: 3/ 464.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولًا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (د.ط)، (د.ت).
- أمالي ابن الشَّجري، هبة الله ابن الشجري، مطبعة المدني، القاهرة، ط (1)، 1992م.
- انباه الرواة على أنباه الرواة، جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط (1)، 1986م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.ت).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال لدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط (1)، 1965م.
- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن التنوخي، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1981م.
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463 هـ، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط (3)، 1976م.
- سفر السعادة وسفير الإفادة، علم الدين السخاوي، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، دار صادر، بيروت، ط (2)، 1995م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، القاهرة، (د. ت).
- شرح الدماميني على مغني اللبيب، محمد الدماميني، صححه وعلق عليه: أحمد عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط (1)، 2007م.
- شرح الرَّضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1987م.
- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- الفهرست، ابن النديم، تحقيق: د. محمد عوني عبد الرؤف، ود. إيمان السعيد جلال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2006م.

- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط (6)، 1997م.
- مجالس العلماء، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (3)، 1999م.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مطبوعات دار المأمون، القاهرة، (د.ت).
- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، ودار سناترا، تونس، 2013م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط(1)، 1964م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988م.
- نفح الطَّيب عن غصن الأندلس الرَّطيب، المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت).
- نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، يوسف اليغموري.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ثانيًا: المراجع باللغة الإنجليزية:

- A critical discourse analysis of Barack Obama' speeches, Junling Wang, journal of language teaching and research, Vol.1, No.3, May 2010.
- A systemic functional exploration of translation: An appraisal corpus - linguistic approach..
- Annotating Appraisal in English and Spanish product reviews from mobile application stores: a contrastive study for linguistic and computational purposes, Natalia Mora López, (2018).
- Annotating expressions of appraisal in English, Jonathon Read and John Carroll, springer, december, 2010.
- Appraisal, peter R.R. White, in J. Zienkowski, J.O. Ostman, J. Verschueren, The Handbook of pragmatics, volume 8, Discursive pragmatics..
- Beyond Exchange: Appraisal Systems in English, J. R. Martin.
- Stance in political Discourse: Arabic Translations of American Newspaper Opinion Articles on the (Arab Spring).
- Supporting new arrival students' engagement with picture books: analysis of teacher talk using the appraisal theory, Celine PY Chu, Functional Linguistics 2014.
- The Interpersonal metafunction analysis of Barack Obama' victory speech, Ruijuan Ye, English language teaching, vol.3, June 2010.
- The Language of Evaluation Appraisal in English, J.R. Martin and P.R.R. White.